كارل بروكلمان

تاريخ الشعوب الإسلامية

٥

الدول الإسلامية

بعد الحرب العالمية الأولى

نقله الى العربية

الدكتور نبيه أمين فارس
رئيس دائرة التاريخ
في جامعة بيروت الاميركية

منير البعلبكي
استاذ الادب العربي
بكلية البنات الاهلية في بيروت

دار العلم للملايين - بيروت

كارل بروكلمان

تاريخ الشعوب الاسلامية

٥

الدول الاسلامية

بعد الحرب العالمية الأولى

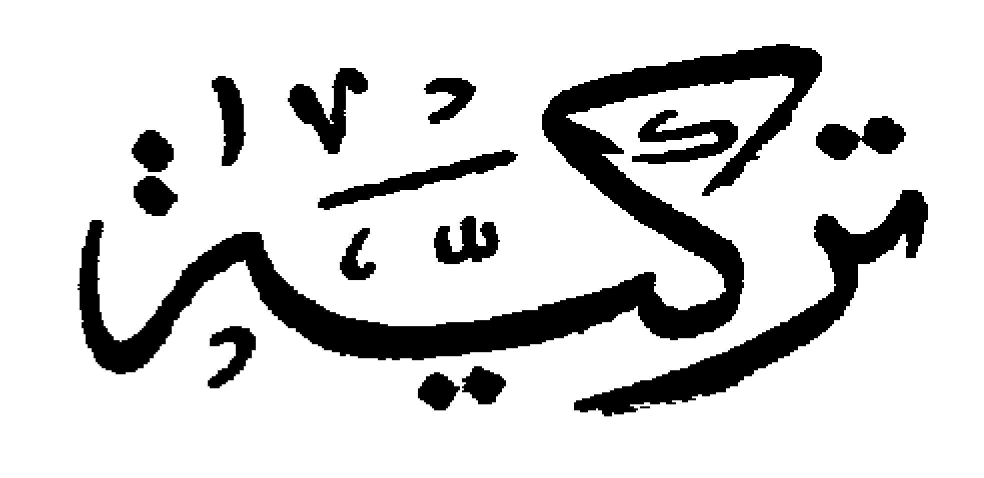
نقله الى العربية

الدكتور نبيه أمين فارس
رئيس دائرة التاريخ
في جامعة بيروت الاميركية

منير البعلبكي
استاذ الادب العربي
بكلية البنات الاهلية في بيروت

دار العلم للملايين - بيروت

بيروت ، نيسان ١٩٥٠



•

هدنة مودروس

في ٣٠ تشرين الأول (اكتوبر) سنة ١٩١٨ خرجت الامبراطورية العثمانيــة من الحرب اثرَ هدنة مودروس . ولم يكن في ميسور طلعت وأنور ، اللذين عقدا هــذه المعاهدة ، ان يقوما بمفاوضات الصلح ، لأنهما كانا في اعين الأعداء المسؤولين الرئيسيين عن دخول تركية الحرب . كذلك لم يكن عزت باشا وتوفيق باشا ، اللذين تقلد احدهما بعـــد الآخر رئاسة الحكومة ، موضعَ ثقة الحلفاء واطمئنانهم أيضاً . ولم يرتحِ المنتصرون إلا للداماد فريد باشا ، خصم الوطنيين ، الذي قبض على أزمّة الحكم في ٤ اذار (مارس) ١٩١٩ . بيد ان ثقته بمبدأ ولسن * الثاني عشر الذي نصّ على ان تتمتع الاجزاء التركية من الامبراطورية العثمانيــة بالسيادة الكاملة ما لبثت ان مُنيَــت بخيبة فاضحة . وفي ١٥ نوار (مايو) سنة ١٩١٩ احتلّ اليونان إزمير بالاتفاق مع الحلفاء ، ولم يلقَ احتجاج فريد باشا عـلى ذلك اذناً واعية في مؤتمر الصلح المنعقد

---

* Wilson

بباريس في شهر حزيران (يونيو) .

محاولات الانقاذ الأولى

وعبثاً حاولت الجماعات الوطنية في استانبول أن تعمل على انقاذ البلاد . ففي ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩١٨ ، دعا الدكتور أسعد – وهو طبيبٌ عَيْنيّ طموح جداً ولكنه سياسي تنقصه الكفاية – الى عقد مؤتمر وطني في العاصمة ضمّ ثمانية احزاب وعدداً كبيراً من الكتل الصغيرة ؛ وما هي إلا فترة حتى انفض هـذا المؤتمر بعد ان عقد عدة جلسات لم تُثمر شيئاً . ولم تحظَ بنصيبٍ اكبر من النجاح تلك الجماعةُ المؤلفة من ثلاثين من الوزراء السابقين واصحاب المقامات العالية التفّوا حول رئيس المجلس ورئيس الدولة السابق، احمد رضا؛ وقد عُرِفت هذه الجماعة باسم « الوحدة الوطنية » .

ومـا كان الخلاص ليأتي الا من الأناضول ، بسكانه الأتراك المتجانسين اقوى ما يكون التجانس وكثرتهم الساحقة من الفلاحين الذين لم تذهب الحرب الضروس المتطاولة بشيء من حيويتهم البالغة . وهكذا ثارت ضد اليونان – الذين اقترفوا من الفظائع في إزمير شيئاً لم يُسمع بمثله من قبل – عصابات تركية من المجاهدين (باش بوزق) يقودها الحدّاد أفه محمد ، ويوروك علي . وسرعان ما التحقت بهذه العصابات قوات نظامية على رأسها ضباط من هيئة اركان الحرب ، وبذلك تمكن الثوار من ان يَشغلوا أعداءهم في حرب عصابات صعبة المراس . وفي ٣ نوّار (مايو) انطلق الجنرال كاظم قره بكير الى شرقي

الاناضول حيث وفق الى إرجاء تسليم السلاح الى لجنة المراقبة البريطانية . ثم ان الوطنيين في أرضروم - يقودهم النائب السابق ، رؤوف - قرروا الدعوة الى مؤتمر ، ينعقد في ٣٠ نوار (مايو) ، للدفاع عن البلاد .

مصطفى كمال يتزعم الحركة الوطنية بالاناضول

عند ذلك هيأت الدول الحليفة نفسها الفرصة السانحة للرجل الذي قدّر له ان ينشيء تركية الحديثة . فقد طلبت الى الحكومة إقرار النظام في الأناضول ، ولو اقتضاها ذلك اللجوء الى السلاح . ولم تجد الحكومة من تؤهله كفاياته للنهوض بهذه المهمة غير مصطفى كمال المتمرس بالحروب ، والذي دافع عن أنافورطه ، وصان هو وجنوده ، افراد فرقة يلدرم ، الشرف العسكري التركي في معارك فلسطين وضواحي حلب . وفي ١٥ نوار (مايو) وصل الى الأناضول وتولى ، في الحال ، قيادة الحركة الوطنية ، (وكان أتباع الحركة في استانبول قد لحقوا به الى هناك) . ومن أماسيه ، وجه الدعوة في ٢١ حزيران (يونيو) سنة ١٩١٩ لعقد مؤتمر تركي عام في سيواس . وقبل ان يتمكن هذا المؤتمر من الانعقاد افتتح مصطفى كمال مؤتمر أرضروم - ولم يكن قد حضر تحضيراً وافياً - في ٢٣ تموز (يوليو) ، وهو اليوم الذي اعتبر منذ ذلك الحين عيد تركية الوطني . وفي ٧ آب (اغسطس) أصدر هذا المؤتمر الاول قراراً بالمحافظة على سلامة الاناضول التركي وبدعوة القوات الوطنية للدفاع عنه .

ثم إن مؤتمر سيواس انعقد بعد ذلك ، في ٤ ايلول (سبتمبر)

برئاسة مصطفى كمال ، وقد شهده مندوبون عن الروم إيلي أيضاً .
وصدّق هذا المؤتمر مقررات أرضروم ، بتعديل طفيف . عندئذ
أصدَرَ فريد باشا — وكان لا يزال حاكماً على استانبول — أمره
الى مصطفى كمال بالعودة الى العاصمة ؛ حتى اذا أبى هذا الاخير
امتثالَ الأمر عدّهُ فريد باشا ثائراً ، وسعى إلى حَمْل الحلفاء على
أن يظنوا به الظنون . ولكنّ مصطفى كمال كان قد بسط نفوذه ،
في هذه الأثناء ، في طول الاناضول وعرضه ، وكان قد وُفّق
الى ان يقطع كل اتصال بين حكومة استانبول والاناضول .
وفي ٢ تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩١٩ اضطرّ فريد باشا
الى اعتزال الحكم . ونزلَ خَلَفَهُ ، علي رضا باشا ، وزير الحرب
السابق ، عند إصرار مصطفى كمال وأعاد انتخاب البرلمان التركي ،
من جديد ؛ ولكنه دعا البرلمان الى الانعقاد في استانبول ، في
حين كان مصطفى كمال قد طالب بنقـله الى الاناضول ، أسوة
بمجلس وَيمار الوطني . وعلى الرغم من أن علي رضا قدّم الى الدول
الحليفة ، في ٦ كانون الثاني (يناير) ، مقترحات اصلاحيـة تمنح
مفوّضيها سلطات رقابية واسعة ، وعلى الرغم من أن البرلمان
تردّد في أن يجاهر بتأييده لمصطفى كمال ، فقد أقرّ ، في ٢٨ كانون
الثاني (يناير) الميثاق الوطـني (ميثاق مِلّي) المشهور الذي
أكّد مقرّرات أرضروم وسيواس إذ طالب بالاستقلال والحرية
التامين لجميع الأقاليم الآهلة بأغلبية تركية ، وفي جملتها استانبول
ومنطقتها الممتدة على بحر مرمرا ، على أن يقرّر مصير سائر اجزاء

الامبراطورية من طريق الاستفتاء . ١

وجواباً على هذا التعبير الصريح عن الارادة الوطنية اكره الحلفاء علي رضا على الاستقالة في ٧ آذار (مارس) ، واحتلوا استانبول في ١٦ من الشهر نفسه ، مبعدين الزعماء الوطنيين ، وفيهم ضيا گوك ألب ، الى مالطة . ثم ان فريد باشا ، الذي تولى الحكم من جديد في ٥ نيسان (ابريل) ، أصدر حكمه بالاعدام ، — من طريق مجلس حربي استثنائي — على مصطفى كمال و كبار اعوانه ، ومن بينهم الشاعرة خالدة اديب .

انتخاب مصطفى كمال رئيساً للجمعية الوطنية الكبرى

وهكذا لم يعد في وسع مؤسس تركية الحديثة ان يقيم اي وزن لحكومة استانبول . فدعا الى عقد الجمعية الوطنية الكبرى في أنقرة ، حيث افتتحت في ٢٣ نيسان (ابريل) سنة ١٩٢٠ وعدة اعضائها ثلاثمائة وخمسون . وقد انتخبت هذه الجمعية مصطفى كمال رئيساً لها كما اختارته في الوقت نفسه رئيساً للجنتها التنفيذية ، ومجلسها الوزاري .

معاهدة سيفر

واضطر فريد باشا الى ان يقبل ، في ١٠ آب (اغسطس) ، بتوقيع معاهدة سيفر ، بعد ان هدده الحلفاء بأخراج الاتراك من اوروبة كلها اذا ما رفض . والواقع ان هذه المعاهدة كانت تعني ،

---

(١) انظر ياشكه G. Jäschke, *Zur Geschichte des türkischen Nationalpaktes* (*Mitteilungen des Seminars für orientalische Sprachen*, 36, Berlin, 1933, II, 101-116).

لو نُفذت بحذافيرها ، القضـــاء على وجود الاتراك القومي ايضاً . ذلك بانها لم تقض بسلخ الولايات العربية عن الامبراطورية العثمانية فحسب ، بل قضت الى ذلك بان تُمنح إزمير والاقسام الداخلية التابعة لها استقلالاً داخلياً ، وبان تصبح ارمينية دولة مستقلة ، في حين تُضم تَراقِيَـه ، خلا رقعـــة ضيقة ، الى اليونان ، وتُخضع البوسفور والدردنيل لرقابة لجنـــة دولية . وفي الوقت نفسه تم الاتفاق بين الحلفاء على ان تُعطي قِيلِيقِية و كردستان الجنوبية لفرنسة ، وعلى ان يعطى الاناضول الجنوبي حتى منطقـــة ازمير لايطالية .

موقعة سقاريه

وعلى الرغم من ان هذا العمل العدواني العنيف اثار عاصفة من الاستياء في العالم الاسلامي كله ، وبخاصة لدى مسلمي الهند الذين كان على بريطانية أن تراعي شعورهم ، وعلى الرغم من انـه أكسب الجيش التركي عـدداً كبيراً من المتطوعين من مختلف البلدان الاسلامية فقـد أبدت حكومة انقرة ، بادىء الامر ، استعدادها للموافقة على احتلال إزمير من قِبل اليونان ، وعلى التخلي عن أَدْرَنَـة ايضاً . وفي شباط (فبراير) سنة ١٩٢١ اقترح مندوبها ، بكر سامي ، في مؤتمر عُقد بلندن ، جَعْل إزمير ولاية مستقلة استقلالاً داخلياً في ظل حاكم نصراني . ولكن هذا العرض لم يحظ بالقبول ، سواء من جانب اليونان أو من جانب الحلفاء ، على الرغم من انهم ما لبثوا ان اطّرحوا فكرة إخضاع الوطنيين الاتراك من طريق حملة عسكرية بقيادة الجنرال فوش ، بسبب من

المصاعب الجدية التي كانت تعترض الحملة ، وبحكم روح الملل العام من الحرب . وبينا كانت فرنسة غير راغبة في ان ترى انتدابها على سورية يتعرّض للخطر من جرّاء مغامرة في آسية الصغرى ، وبينا كانت ايطالية لا تود ان ترى ممتلكاتها الجديدة في جزر الدوديكانيز محصورة بدولة يونانية كبرى تقوم الى جوارها ، نجد بريطانية تشجع اليونانيين على الزحف من إزمير الى ما وراءها . وهكذا تحولت حرب العصابات السابقة ضد المجاهدين الاتراك الى حرب نظامية في سبيل الاستيلاء على الاناضول الغربي . وفي ٢٣ آذار (مارس) زحف اليونان الى أسكي شهر وأفيون قره حصار ، وتعتبر كلٌّ منهما مركزاً هاماً من مراكز التقاء الخطوط الحديدية . والواقع انهم وُفّقوا ، في الجنوب ، إلى ان يحتلوا افيون قره حصار فترة قصيرة من الزمان ، ولكنهم مُنوا في الشمال بهزيمة حاسمة ، عند إين أُونُو ، خلال الايام الاولى من نيسان (ابريل) وأُكرهوا على الارتداد الى برُوسّه . بيد أنهم عاودوا التقدم ، منذ العاشر من تموز (يوليو) ، في اتجاه كوتاهية ليخوضوا ثمة معركة فاصلة . وبعد كوتاهية ، سقطت أفيون قره حصار وأسكي شهر في ايديهم ايضاً . ومهما يكن من امر ، فقد كان مصطفى كمال يحشد القوات التركية المقاتلة في سقاريه . وفي ٢٤ آب (اغسطس) هاجمه اليونان هناك ، ولكنهم اضطروا بعد قتال مرير ، الى التراجع في ١٦ ايلول (سبتمبر). والحق ان هذا الانتصار الذي تمّ للاتراك على «الكفار» قرر نهائياً مصير الدولة الجديدة ، وقد احتفلت به الجمعية الوطنية

بأن خلعت على مصطفى كمال لقب « الغازي » .

المعاهدات مع فرنسة والروسيا السوفياتية

وكانت فرنسة أسبق الدول الى الاستفادة من هـذا الوضع الجديد . ففي ٢٠ تشرين الاول (اكتوبر) عقـــدت في انقرة معاهدة مع تركية ـ وقّعها بالنيابة عنها فرنكلين بويون * ـ تخلّت فيها عن قيليقية مقابل حصولها على امتياز لاستثمار منـــاجم الحديد والكروم والفضة في وادي نهر خَرْشُوط الذي يصبّ في البـــحر الأسود ؛ وبذلك حرّرت نحـواً من ثمانين الف رجل صار في إمكان تركية ان توجّههم ، مـــع اعتدتهم الحربية الوافرة ، لقتـــال اليونان . وجلت ايطالية ، بدورها ، عن آطاليه ، في كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٢١. وفي ١٦ آذار (مارس) عقدت تركية معاهدةً مع الروسيا السوفياتية ، أتبَعَتْها باتفاق مع جمهوريات إرمينية وجورجيا وآذَرْبَيجان السوفياتية ، في ١٣ تشرين الاول (اكتوبر) . فقد ضمنت لهذه الجمهوريات حمايتها مقابل تخلّيها لهـــا عن قَرْص (القَارِص). والواقع ان هاتين الدولتين اللتين كانت تفصل ما بينهما في السابق الجمهورية الأرمنية التي أنشأها الحلفاء ، واللتين استشعرت كلٌّ منهما الخطرَ من جرّاء سيطرة بريطانية على البحر الاسود ، نقول إنّ هاتين الدولتين كانتا بادىء الامر على خلاف ؛ فقد سبقَ لـكاظم قره بكير أن احتلّ رَوان (أريوان) في ايـلول (سبتمبر) سنة ١٩٢٠ ، ليحتل قَرْص في تشرين الاول (اكتوبر) . وفي

* Franklin - Bouillon

كانون الاول (ديسمبر) عُقِد الصلح في رَوان مع السلطات السوفياتية القائمة هناك . ولكن مرفأ باطوم الهامّ - الذي كان البريطانيون قد احتلوه إثر هدنة مودروس ، ثم جلوا عنه بعدُ - ما لبث ان أمسى ، في شهر آذار (مارس) ، هدفاً لكلّ من الاتراك والجيش الأحمر ؛ وقبل أن تندلع نيران الحرب بين الفريقين عُقِدت مع موسكو معاهدة ضُمَّت باطوم بموجبها ، إلى الجمهورية الكرجية (جورجيا) .

إخراج اليونان من إزمير

وانقضى صيف ١٩٢٢ في مفاوضات عقيمة ، على الرغم من ان مصطفى كمال كان مستعداً ، آخر الامر ، لأن يقدّم لليونان وحُماتهم البريطانيين ترضيات عظيمة . وفي ١٨ آب (أغسطس) استؤنفت أعمال العدوان . فاستولى الاتراك (٢٦ آب «اغسطس») على أفيون قره حصار التي حسبَ اليونان أنهم حصّنوها حتى ليستحيل سقوطها في يد العدوّ . وبعد ان مُني اليونان بهزيمة أخرى في دوملوبينار ولوا الادبار مُضرمين النار في جميع المواطن المأهولة التي اجتازوها . وفي ٩ ايلول (سبتمبر) استطاع الاتراك ان يحتلوا ازمير من غير أن يطلقوا رصاصة ، تقريباً . ولكنهم أحرقوا ، بدورهم ، نصف المدينة لكي يزيلوا آخر أثر من آثار الاحتلال اليوناني .

معاهدة لوزان

عندئذٍ وطن مصطفى كمال العزم على استنقاذ تراقيه ايضاً . والواقع ان جنوده كادوا يصطدمون بحامية جناق قلعه ، على

الدردنيل، حيث حاول الجنرال هارنجتون * ان يعترض سبيلهم ، كما حالَ ، في شهر تموز (يونيو) ، بين اليونان وما اعتزموه من الهجوم على استانبول ؛ ولكن الحادي عشر من تشرين الأول (اكتوبر) شهدَ توقيع هدنة مودانية التي تخلّى فيها اليونان عن تراقيـهْ حتى مَريج. ثم إنّ لويد جورج **، الذي اخفقت سياسته الشرقية بحكم هـذه الاحداث ، ما لبث ان استقال في ١٩ تشرين الاول (اكتوبر) . وفي ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٢٢ افتتح مؤتمر الصلح في لوزان، ولكنه انفضّ في ٤ شباط (فبراير) ١٩٢٣ من غير ان يُسفر عن نتيجةٍ ما . وفي ٢٣ نيسان (ابريل) اجتمع المندوبون كرّةً اخرى فوُفّقوا الى انجاز معاهدة الصلح في ٢٤ تموز (يوليو) . وبموجب هـــذه المعاهدة بسطت تركية سلطانها، من جديد، على آسية الصغرى كلها وعلى استانبول وتراقيه الشرقيـة ، وتعيّن على سكان آسية الصغرى اليونان أن ينقلبوا الى وطنهم الأول في حين رجع الاتراك ، الذي كانوا لا يزالون في دول البلقان ، الى الاناضول زرافاتٍ زرافات . ولم يبقَ معلّقاً غير مشكلة ملكية الموْصل. فقد كانت هذه المنطقة ـ ذات الأهمية الاقتصادية البالغة بسببٍ من آبارها النفطية ـ آهلةً في الدرجـة الاولى بالاكراد الذين كانت غالبيتهم المقيمة في الشمال خاضعةً للحكم التركي ؛ وسنحدثك بعـد ، عند الكلام على تاريخ العراق ، عن اشتباك تركية بجارتها الجنوبية. أما في حقل السياسة

* Herrington

** Lloyd George

الداخلية التركية فقد تخلى الحلفاء عن الحقوق الخاصة التي ورثتها الأقليات النصرانية عن نظام الـ « مِلّت » القديم ؛ وهكذا أُلغيت هذه الحقوق كما أُلغيت الامتيازات الخاصة بالأجانب .

إعلان الجمهورية وإلغاء الخلافة

بعد هذا النصر المؤزّر الذي أحرزه الوطنيون بقواهم الخاصة ومن غير ما تعاون مع السلطان محمد السادس [وحيد الدين] الذي بقي في استانبول الخاضعة لاحتلال الحلفاء ، أعلنت الجمعية الوطنية الجمهوريةَ التركية ، في ٢٩ تشرين الأول (اكتوبر) سنة ١٩٢٣ ، وانتخبت مصطفى كمال رئيساً لها . وكانت الرغبة متجهة نحو الاحتفاظ ، موقتاً ، بالخلافة ؛ ومن هنا اختير عبد المجيد ، ابن السلطان عبد العزيز ، لهذا المنصب . وعلى الرغم من ان الخليفة الجديد لم يحاول ان يمارس السلطة شخصياً [٢] ، فسرعان ما أدرك مصطفى كمال ان زعيماً دينياً أعلى معترفاً له بهذه الصفة في العالم الاسلامي كله خليق بأن يصبح ، سواء شاء ذلك ام لم يشأ ، نقطة الدائرة التي تلتقي عندها آمال الرجعيين .

ووطّن مصطفى كمال النفس على ان يسير بالدولة التي أنشأها في طريق الحضارة الأوروبية ، وهي طريق تقتضي السائرَ فيها ان

(٢) حتى التاريخ التركي الرسمي « تاريخ » ، جزء ٤ ص ١٦٠ وما بعدها ، لم يأخذ عليه غير التحدث عن اسلافه في كثير من الاجلال والاحترام ، وغير توقيع برقية الى مسلمي فنلنده بوصفه « خليفة رسول رب العالمين » ، وغير سكوته عن بعض التصريحات التي أدلت بها بعض الأوساط الرجعية ، وغير إحداثه صلات مع السفراء الأجانب ، وغير محاولته القيام بمفاوضات في انقره حول بيت المال الخاص بالخلافة .

لا يقف ليُلقي أيما نظرةٍ الى الماضي الاسلامي ، لأن مثل هـذا النظر خليق بأن يعوق صاحبه عن بلوغ الغاية . وهكذا آثر أن يتخلى عن المنافع التي كانت دولته جديرة بأن تجنيها لو رغب في إبقائها مركزاً روحياً للاسلام . وفي ٣ آذار (مارس) سنة ١٩٢٤ اتخذت الجمعية الوطنية قراراً بإلغاء الخلافة وإخراج الخليفة من البلاد ؛ ومن ثم أعلنت صيغةٌ جديدة للدستور التركي ، في ٢٠ نيسان (ابريل) . [٣] والواقع انه كان لهذه الخطوة صدى استياء شديد جداً ، وبخاصة لدى مسلمي الهند الذين علقوا على تركية الحديثة آمالهم في الخلاص من الاستعمار البريطاني ، والذين كان نفر قليل منهم قد هاجر الى أنقرة فعلاً . وكان طبيعياً ان تخفق جميع المحاولات التي بذلت في سبيل إحياء الخلافة في البلاد الاسلامية الاخرى لان الاحوال الملائمة لذلك لم تكن متوفرة في اي من هذه البلاد ؛ حتى اذا عُرض على الغازي ان يتبوأ هو كرسي الخلافة أبى هذا العرض في شدة وحزم .

الثورة الكردية

ومهما يكن من امر فأن هذه المفارقة لماضي البلاد الاسلامي لم تتم من غير اضطرابات عنيفة . وتفصيل ذلك ان الاكراد - وهم شعب إيراني لم يسبق له ان حقق ، خلال التاريخ ، ايما حياة

---

(٣) راجع نص هذا الدستور وترجمته في :

Mitteilungen des Seminars für orientalische Sprachen, Berlin, 1924, II, 137 - 251.

واظر أيضاً وبستر : D. E. Webster, *The Turkey of Atatürk*, Philadelphia, 1939, pp. 297 - 306.

استقلالية صحيحة في بلاده التي قامت دون اتصالها بعضها ببعض سلاسل من الجبال الشاهقة - كانوا قد دخلوا في طاعة العثمانيين سنة ١٥١٥، ولكن رجلاً منهم، هو المؤرخ ادريس البتليسي، وُفق الى ان ينقذ سلطة زعماء بيوتاتهم النبيلة، من طريق مفاوضات بارعة . وليس من شك في ان عبد الحميد كان قد كبت كل حركة وطنية في مابينهم، وحظّر حتى طبع اول كتاب في النحو الكردي لمؤلفه يوسف خالدي ولكنه اصطنعهم في التضييق على الارمن والتنكيل بهم، بل ذهب الى أبعد من ذلك فألف حرسه الفرسان، «الحميدية»، من الأكراد في الأعم الاغلب . وكان رجال تركية الفتاة قد واصلوا سياسة عبد الحميد هذه، وأفادوا من الاكراد اثناء الحرب العالمية الاولى في قتال الارمن . اما الآن، بعد ان فصلوا عن اخوانهم في منطقة الموصل - هذه المنطقة التي كانت بريطانية وتركية تتساومان عليها منذ زمن طويل - فقد تنبهوا، هم ايضاً، على الرغبة في الاستقلال الوطني، وداخلَ نفوسهم الأمل في التخلص من الحكم التركي . والواقع ان الاكراد وجدوا الذريعة الى ذلك في نقض الدولة التركية للقانون الاسلامي بالغائها الخلافة. ففي ١٣ شباط (فبراير) سنة ١٩٢٥ رفع الشيخ سعيد، شيخ الطريقة النقشبندية التي كانت تتمتع بسلطة عظيمة عند الاكراد، راية العصيان على الاتراك . وسرعان ما ضمنت له صلته الوثيقة بنبلاء الاكراد عدداً ضخماً من المؤيدين والانصار . وما هي الا فترة يسيرة حتى عمت حالة الثورة الولايات الشرقية الثلاث، حيث يؤلف الاكراد أغلبية السكان . ولقد طالب الثائرون بتنصيب

سليم ، ابن عبد الحميد ، خليفـــة وسلطاناً . وإذ كانت الحكومة التركية تخشى ان تُعلن العناصر الرجعية الثورة في استانبول فقد طبقت الاحكام العرفيـــة هناك ايضاً . وشنّ الاكراد ، بادىء الامر ، هجوماً على ديار بكر (آمد) ، فسقطت المدينة في ايديهم ، في ٧ آذار (مارس) ، ولكنها ما لبثت ان حُرّرت من جديد. وإذ كان قواد الاكراد الرئيسيون لاقوا حتفهم في هـذه المعارك فقد تلاشت قدرة الثوار على مواصلة المقـاومة . ومهما يكن من امر فلم يقع الشيخ سعيـد في الأسر إلا في شهر حزيران (يونيو) ليُعـدم بعدُ بأنقرة . وفي سنة ١٩٢٩ نشبت ثورة كردية اخرى في إقليم أراراط وبحيرة وان ولكن الحكومة التركية سيّرت ، على وجه السرعـة ، قوّات ضخمة لأخمادها فوفقت هـذه القوات الى ما نُدبَت له . ولكي تحول دون نشوب أيما ثورة جديدة في المستقبل ، لجأت الحكومة الى طريقة إبعاد السكان عن مواطنهم الاصلية – وهي طريقة مألوفة في التاريخ الشرقي – ونقلت بعض الاكراد الى تراقيه الشرقية [٤] .

الانقلاب الديني والاجتماعي

هذه الثورة التي كان على الاتراك ان يواصلوا استئصال خلاياها المفردة من طريق المحـاكم الاستثنائية ، حدت بحكومة مصطفى كمال الى ان تخطو خطوات جديدة نحو صبغ الدولة بالصبغة المدنية. والواقع ان وزارة الاوقاف كانت قد ألغيت ، قبل ذلك ، في

---

(٤) انظر فون فسندونك، **G . von Wesendonk, *Das Kurdische Problem,* Preus. jahrb. 1931, 117 sq.**

٢ آذار (مارس) سنة ١٩٢٤ ، وعهــد في شؤونها الى وزارة المعارف . وفي حزيران (يونيو) سنة ١٩٢٥ حُرّمت جميع الطرق الصوفيــة ؛ وفي ايلول (سبتمبر) أُغلقت زوايا الدراويش جميعاً . وقضت الحكومة في قسوة وعنف ، على كل نقــد دينيّ لتدابيرها . وفي سنــة ١٩٣١ – ١٩٣٢ ذهبت الى أبعد من ذلك فحدّدت عدد المساجد ، ولم تسمح بغير واحـــد منها في كل دائرة من الأرض يبلغ محيطها خمسمائة متر . كذلك خُفض عدد الواعظين الذين تدفـــع الدولة أجورهم الى ثلاثمائة واعظ ، وفُرض عليهم ان لا يَقصُروا خطبة الجمعة على الأمور الدينية فحسب ، بل ان يضموا اليها فوائد عمليـــة في ما يتصل بالشؤون الزراعية ايضاً . وأُوصدت ابواب جامعَين من أشهر جوامع استانبول في وجه المصلين ، ليحوّل اولها – آيا صوفيا – الى متحف ، وثانيها – مسجد الفاتح – إلى مستودع . امـــا القانون الديني ، الشريعة ، الذي كان حتى ذلك الحين معمولاً بـه في صعيد العلاقات العائلية والزوجية فقــد استُبدل به قانونٌ مَدَنيّ مستمد من القانون السويسري. وإنما ادّى ذلك الى القضاء نهائياً على تعدّد الزوجات الذي كان ، من الوجهـــة العملية ، مقتصراً من غـير شك على الطبقات الموسرة ، لأسباب اقتصادية على الاقل . ليس هذا فحسب ، بل لقد اصدرت الحكومة في ٢ تموز (يوليو) سنة ١٩٣٤ قانوناً قضى بأحداث اسم للأسرة ، مما لم يكن معروفاً قبل ذلك في تركية .

أما المرأة التركية – التي سبق لها أن نزلت إلى ميدان العمل

لتحل محلّ المحاربين من الرجال في كثير من المهن ، أثناء الحرب العالمية الأولى – فقد مُنحت الآن المساواة التامة في جميع الحقوق الشرعية ، ثم حصلت آخر الأمر على حقها في ان تَنتخِب وتُنتخَب ؛ وفي الانتخابات الجديدة التي جرت في ربيع سنة ١٩٣٥ دخلت سبع عشرة امرأة الجمعية الوطنية الكبرى .

واتخذت حركة اقتباس المدنية الغربية التي سعى اليها مصطفى كمال مظهراً خارجياً يرمز اليها في قانون ٢٥ تشرين الثاني (نوفمبر) الذي استبدل القبعةَ بلباس الرأس الوطني السابق ، الطربوش ، كما سبق لهذا الطربوش نفسه أن حلّ محلّ العمامة في عهد السلطان محمود الثاني . * وما هي إلا فترة حتى فُرض اللباس الاوروبي على طبقات الشعب جميعاً .

استبدال الاحرف اللاتينية بالاحرف العربية

ولكنّ مصطفى كمال لم يكتفِ بتكييف شعبه،هذا التكييف الخارجيّ ، وفقاً لعادات الغرب بل طمع في ان يُشرِبَهُم روح أوروبة ايضاً . ولم يكن بدّ ، لبلوغ هذا الهدف ، من اطّراح

(*) أما أهمية الطربوش العظمى في نظر الأتراك ، بوصفه احد مظاهر القومية الخارجية – وهو ما لا يستطيع العقل الاوروبي ان يفهمه احياناً – فتتجلى في احدى اقاصيص يعقوب قدري : « القبعة » ؛ وهي تصور المصير الفاجع الذي انتهى اليه شاب عثماني حاول ، ارضاء لخطيبته النصرانية ، أن يمشي في الاسواق وعلى رأسه قبعة ، فما كان من الغوغاء المتعصبين إلا ان فتكوا به. والواقع أن النازي اضطر الى أن يقوم برحلة الى مقاطعة قسطموني لابساً القبعة ، ابتغاء القضاء على مقاومة العناصر الرجعية لهذا الأجراء .

الاحرف العربية أولاً . وبعد ان استبدلَ الارقامَ الدولية * بالارقام العربية ** ، في ٢٨ آذار (مارس) سنة ١٩٢٨ وَطن النفس على اطّراح الاحرف العربيــة التي كانت على اية حال لا تفي بحاجات اللغة التركية إلا قليلًا . وفي ٢٦ حزيران (يونيو) سنة١٩٢٨ ألفت لجنة عُهِد اليها في تعديل الاحرف اللاتينية بحيث تلائم اغراض الكتابة التركية . فقامت بمهمتهـا في براعة عظيمة إذ انتهجت خطة وَسَطاً بين تصوير الاصوات تصويراً اقرب ما يكون الى الصحة وبين المحافظة على صور الحروف التقليدية. وفي ٢ آب (اغسطس) وُضعت الاحرف الجديدة موضع الاستعمال في انقرة ؛ واصرّ الغازي نفسُه على ان يظهر امـام الناس بمظهر المعلّم لهذه الاحرف . ففي ٩ اب (اغسطس) اعلن اصطناعها بخطاب ألقاه في استانبول ، حتى اذا كان اليوم الثالث من تشرين الثاني (نوفمبر) اصبح هذا الاعلان قانوناً . وانشئت المدارس في طول البلاد وعرضها لتعليم الناس على اختلاف اسنانهم الحروف الجديدة التي اصبحت « وطنية » في اقصر ما يمكن من الوقت . وفي أول ايلول (سبتمبر) حُذِف من منـاهج الكليات التعليم التقليدي بالعربية والفارسية ، وهما اللغتان اللتان كان الاتراك يعتبرون دراستهما ضرورية لفهم الادب التركي . وحُرّم استعمال الحرف العربي لطبع المؤلفات التركية ؛ اما الكتب التي سبق لمطابع استانبول ان أخرجتها في العهود السالفة – وهي كثيرة

* يقصد الأرقام العربية المستعملة اليوم في اللغات الاجنبية . [المعربان]

** يريد الارقام الهندية المستعملة حتى اليوم في اللغة العربية .[المعربان]

لا تكاد تُعدّ – فقد صُدّرت الى مصر وفارس والهند . والواقع ان هذا الانقلاب أدى الى قطيعة اخرى ما بين تركية وماضيها الاسلامي من جهة ، وما بينها وبين اخوان الاتراك في الدين ، في سائر الامصار الاسلامية . وهي قطيعة لا نستطيع ، الى اليوم ، تقدير نتائجها كلها .

القومية التركية الجديدة واتجاهاتها المتطرفة

ومن باب التعويض عن القِيَم الروحية التي انطوت هذه الاجراءات كلها على التخلي عنها اعتزم الغازي او أتاتورك[6] أن ينفخ في شعبه روحاً جديدة من الاعتزاز بقوميتهم . فبعد ان تعيّن على رجال تركية الفتاة ان يقطعوا الرجاء من إمكان اكتساب جميع رعايا الامبراطورية لتأييد مبدأهم السياسي (القائل بأن تركية وطن يسكنه شعب واحد – العثمانيون – متمتع بحقوق متساوية) نشأت محاولة الى ربط الاتراك وجميع اخوانهم في اللغة برباط من الوعي القومي جديد ، قِوامُه المثل الاعلى القائل بـ « الطورانية » . والحق ان مصطفى كمال اطّرح هذه الفكرة اطّراحاً ينم عن تبصُّر سياسي أصيل . وانما كان يهدف ، بدلاً من ذلك ، الى ان يُدخل في نفوس اتراك الاناضول العزّة والنخارَ بوصفهم احفاد شعب قديم راقٍ ، شأنَ المصريين المحدثين الذين سعوا لتعزيز وعيهم القومي ، في وجه

---

(٦) خلعت الجمعية الوطنية هذا الاسم ، ومعناه « ابو الاتراك » ، على مصطفى كمال في ٢٤ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٣٤ بعد تصديق القانون الخاص بالقاب الأسر « كتعبير عن إجلال الامة وعرفانها لجميل اعظم ابنائها على الاطلاق » .

مضطهديهم البريطانيين ، من طريق الاعتزاز بثقافة النيل الموغلة في القِدَم . من اجل ذلك تبنّى الافتراضَ الواهي غـير العلمي الذي قال به نفر قليل من العلماء الاوروبيين والذي يذهب الى ان لغة السومريين ، منشئي الحضارة البابلية القديمة ، كانت ذات صلة بالتركية . وكانت الحفريات التي اجراها العالم الالمـاني ونكلر * في الاناضول ، عنـد بوغاز كُوِي ، قد كشفت عن بعض آثار من الحضارة الحثية انشأتها شعوب آسية الصغرى ثم اقتبستها طبقة حاكمة من الجنس الاوروبي الهندي الدخيل . والواقع ان هؤلاء الحثيين ايضاً اعتُبروا ، من طريق استقراءٍ تاريخي جريء ، أسلاف الأتراك الأولين . وهكذا انتهى الأتراك الى ان يصبحوا هم أصحاب أقدم حضارة في العالم . وسرعان ما ظهرت في تركية الكمالية ايضاً فكرة تذهب الى أن اللغـات الأوروبية الهندية واللغات الساميـة كانت في الأصل ذات صلةٍ باللغة التركية وأنها نشأت عنها ؛ وقد سعى القائلون بهذه الفكرة الى إقامة البرهان عليها من طريق بهلوانية لغوية رائعة لا ترضخ لأيما نقد علمي او قياس . ولتأييد هذه الفرضيات وُضِعت — في الاوساط وثيقة الاتصال برئيس الجمهورية ، على ما يبدو — نظريةٌ خيالية تُعرف بـ « النظرية الشمسية في اللغات » . والواقع ان هذه النظرية اعتبرت جميعَ الكلمات الاجنبية التي تحفل بها اللغة التركية مادةً لغوية تركية سليمة النسب ؛ وبذلك افسحت في مجـال الابقاء عليها في صُلب اللغة ، بعد ان حاول المترمتون من اللغويين ،

---

* H. Winkle

في السنين السابقـــة ، استئصالها ما استطاعوا الى ذلك سبيلاً ، والاستعاضة عنها بكلمات ميتة سعوا الى احيائها من متن اللغة التركية القديمة . فقد أُدخلت كلمة école الفرنسية ، مثلاً ، الى صلب اللغة التركية ، فاذا هي تلفظ okul ، وذلك بعد أن أرجعوها الى فعل okumak او « قرأ » . والواقع ان المشتغلين بهذه المباحث اللغوية لم يحجموا عن إلحاق عدد من أواخر الكلمات الاجنبية (من مثل اللاحقة الفرنسية الملائمة : « al - » في كلمة Social الخ) ببعض الكلمات التركية او العربية الخالصة . ومن هنا نشأت لغة كتابة جديدة يكاد فهمها يتعذر على الرجل العادي . وهكذا عُلقت فوق كرسي رئيس الجمعيـــة الوطنية في أنقرة ، التي صارت تدعى « *Kamutai* » ، القاعـدة الرئيسية في الدستور التركي : « السيادة مستمدة من الشعب » على هذا الشكل «Egemenlik Ulusundur» الذي ما كان أحد من الاتراك ليفهم منه شيئاً ، قبل بضع سنوات فقط ، غير اللاحقة lik - في الكلمة الاولى ، والصلة dur في ختام الثانية . ومهما يكن من أمر فالذي لا شك فيه ان هـذه المظاهر المنبثقة عن وعي قومي مغالىً فيه ما لبثت ان خضعت لاعتبارات اكثر رصانة وحكمة . ذلك بأن الاتراك ، مهما استشعروا الرغبة في التخلي عن تقاليد [7] ماضيهم الاسلامي ، يظلون أصحاب تراث

---

(٧) في سنة ١٩٣١ بلغ احتقار الماضي حداً يتمثل في بيع مجموعات نفيسة من الوثائق القديمة الخاصة بوزارة المالية، لبلغارية، بوصفها اوراقاً لا قيمة لها ، حتى اذا نوقشت هـذه المسألة في الجمعية الوطنية الكبرى استطاعت الحكومة استنقاذ ثلاثة وخمسين كيساً من هـذه الوثائق الثمينة بان اشترتها من جديد وضمتها الى المحفوظات الوطنية .

قومي خاص هو من الغنى بحيث لم يكونوا في حاجـــة الى تدعيم وعيهم القومي ببهارج مستعارة. والحق أن العلماء الاتراك يُحاولون منذ مدة طويلة ، وفي نجاح كبير ، اكتشاف الكنوز الحقيقيـة التي تنطوي عليها ثقافتهم من طريق البحث العلميّ المنظم .

ولكن تحرّر الاتراك من السيطرة الفكرية الـتي كان يفرضها عليهم ممثلو الاسلام المتحرجون ، جعل القيم الدينيـــة الاسلامية الصحيحة قريبة المنال من أفراد الشعب . فقد تُرجم القرآن – ولم تكن تلاوته ميسورةً قبل ذلك إلا بالعربية – الى اللغة التركية لاول مرة في نيسان (ابريل) سنة ١٩٣١ ونُشر مع تفسيرٍ له تركيّ . وفي كانون الثـاني (يناير) سنة ١٩٣٢ تُليت أقسام من هذه الترجمة على الناس ، لاول مرّة ، في احد جوامع استانبول ، ومن ذلك الحين صار المؤذّنون ايضاً يؤذنون للصلاة باللغة التركية . ليس هذا فحسب . بل إن الحرية الدينية ادّت الى اعتناق عددٍ من الاتراك النصرانيةَ ، سنة ١٩٣٢ ، وهو عملٌ كان القانون الاسلاميّ القديم يعاقب عليه بالقتل .

الفنون والآداب

وفي هذه الحقبة ازدهرت الفنون في سرعة تدعو الى الدهش ، بفضل الرعاية النشيطة التي أحاطها بها رئيس الجمهورية ، بعد أن كانت مهملة إهمـــالاً كاملاً – باستثناء فن العمارة – في ظـل الامبراطورية القديمة . ففي العاصمة الجديدة ، انقرة ، التي قُـدّر لها ان تنقلب في بضع سنين من مركز ريفي مهمل الى عاصمـــة عصرية ، كان المهندسون المعماريون ، وكثرتهم المطلقة من الالمان ،

ينشطون منذ سنة ١٩٢٧ في العمل على تجديد المدينة وفقاً لأحدث الطُرُز الاوروبية الحديثة . ولكن عدداً من المعاريين الأتراك كان يعمل الى جانب هؤلاء ايضاً ، محاولين ان يلائموا ما بين النظريات الهندسية الأجنبية وطبيعة البلاد والسكان ؛ وقد نجحوا في ذلك الى حد بعيد . ووضع النحاتون الالمان ايضاً اول تماثيل أتاتورك — وهي شاهد على النزعة الثقافية الجديدة الى التحرر من العداء الاسلامي القديم للتصوير — فنُصبت في ميادين المدن الكبرى كلها ؛ وقد ساعدت هذه المدرسة الفنية على ظهور نحاتين وطنيين ذوي شأن . وفي ميدان الرسم—الذي لم يُمارس في فارس والهند الا لزخرفة الكتب في حين أُهمل في تركية ، خلال العهود الماضية ، اهمالاً كلياً — لمعت مواهب كثيرة ، تحت تأثيرٍ من الفنانين الفرنسيين خاصة ؛ حتى اذا كانت سنة ١٩٣٦ وُفقت هذه المواهب الى عرض آثارها في معرض اثينا . اما الموسيقى فقد احتفظت بطابعها الشرقي الخالص حتى سنة ١٩٢٨ ؛ وكانت الآلات الوترية والنايات تصاحب الانغام الرتيبة — الباكية في الاعم الاغلب — التي كان يُنشدها المغنون الشعبيون الاتراك . وكان معروفاً ، منذ وقت طويل ، ان رئيس الجمهورية مصمم على ان يقود شعبه نحو آفاق جديدة ، في هذا الميدان ايضاً . وفي سنة ١٩٢٨ دعا مؤلفاً موسيقياً نمسوياً للعمل في المعهد الموسيقي باستانبول . وفي سنة ١٩٣٤ انشئت في انقرة مدرسة حديثة للموسيقى عُهد في ادارتها الى هِنْدْمِث * و بريتوريوس **

E. Praetorius ** P. Hindemith *

ابتغاء تكييف الموسيقى الغربية و « تتريكها » ، ولكنها سعت لأغناء الموسيقى التركية وجعلها أعمق غوراً ايضاً .

وفي ميدان الادب ، كما في ميــــدان الفن التجسيمي (صنع التماثيل) والتصويري ، اتجه الاتراك وجهات جديدةً خليقـة بأن تنتهي بهم الى ما يبتغون من تكييف ثقافتهم وفقاً للثقافة الغربية . والواقع ان زعيمـة النساء التركيات ، خالدة اديب ، التي لحقت بمصطفى كمال الى الاناضول وشاركت بنفسها في معـارك التحرير وصوّرتها تصويراً يأخذ بمجامع القلوب في روايتها « قميص النار » ـ اضطُرّت الى ان تغادر ارض الوطن بسببٍ من اختـــلافٍ في وجهات النظر السياسية . وهناك في انكلترة دوّنت مذكراتهـا الحافلة بالمعلومات المفيدة ، باللغة الانكليزية ؛ ثم عاشت بعد ذلك ، فترةً من الزمن ، في باريس . اما الشاعر الغنائي الكبير ، عبدالحق حامد ، المتوفى في ١٢ نيسان (ابريل) سنة ١٩٣٧ ، في الثمانين من عمره ، والشاعر احمد هاشم[٨] ، المتوفى سنة ١٩٣٤ ، فقد ابقيا تقاليد عهد « تركية الفتاة » حية . وكان يعقوب قدري[٩] ، الذي رفـع قواعد الفن الروائي الحديث ، قد وقف الرواية على خدمة الحركة الثقافية الجديدة ؛ كذلك فُوق رشاد نوري ، وصـدري أرتم ، وشوكت ثريّا الى ان يعبروا تعبيراً فنياً عن الحياة القومية الجديدة التي أبصرت النور في أرض الاناضول .

---

(٨) انظر دودا **H. Duda in *Die Welt des Islams*, XI, 1928, 200—244 .**

(٩) انظر هارتمان **R. Hartmann, *ibid.* , 1918, 264—282 .**

كان اتاتورك ، بوصفه رئيساً لحزب الشعب « خلق فرقه سي » الذي أسسه بنفسه، قادراً على ان يحتفظ بالسياسة الداخلية التركية ضمن مجارٍ ثابتةٍ محددة ، على الرغم من ان الخلافات ما عتمت ان ظهرت في السنوات الاولى ، حتى في دائرة اعوانه ومساعديه ، لتتمثل احياناً في مناقشات عنيفة دارت في الجمعية الوطنية نفسها . وكان قد تأسس منذ سنة ١٩٢١ حزب عُرف بـ « الحزب الثاني »، ثم ما لبث ان تسمى سنة ١٩٢٤ بـ « حزب الاحرار » ،ليدعى بعدُ « حزب الترقي الجمهوري » . والواقع ان هذا الحزب انتظم عناصر سياسية ودينية رجعية الى جانب زعماء حركة تركية الفتاة السابقة، كما انتظم في الوقت نفسه عدداً من اعوان مصطفى كمال الاولين. وعلى سبيل المعارضة لهؤلاء تسمى حزب الشعب بـ « حزب الشعب الجمهوري » . حتى اذا اندلعت نار الثورة الكردية وبرزت الحاجة الملحة الى قيام اتحاد مكين بين القوى الوطنية جميعاً حُلّ حزب المعارضة على اساس من قرار أصدرته محكمة الاستقلال بانقره ، في حزيران (يونيو) سنة ١٩٢٥ .وماهي الا سنة واحدة (حزيران (يونيو) ١٩٢٦) حتى اكتُشفت مؤامرة في ازمير تهدف الى القضاء على حياة رئيس الجمهورية ، بأيدي مغتالين مستأجرين ، لدُنْ دخوله الى المدينة . وصدرت الاحكام بالموت على ثمانية عشر من اركان المؤامرة ، ومنهم خمسة من زعماء تركية الفتاة السابقين . وأُبعد عن البلاد ، مدة عشر سنوات ، كل من رؤوف بك رئيس الجمعية الوطنيـة ورئيس مجلس الوزراء السابق، والدكتور عدنان بك ـ

الذي سبق له ان مثل وزارة الخارجية في استانبول – مع زوجه خالدة اديب ؛ في حين بُرِّيء كل من الجنرال كاظم قره بكير والجنرال علي فؤاد باشا . وبعد اربع سنوات نشبت في مَنِمَن، شمالي ازمير ، ثورة اخرى اهاجها رجال الطريقة النقشبندية ؛ وقد وُفق فيها الثوار الى القضاء على جيش صغير معقود لواؤه للازم من ضباط الجنود الاحتياطية ، ولكن الثورة ما لبثت ان أخمدت في سهولة ويسر . وفي سنة ١٩٣٠ حاول الغازي ان يُجيز ، كرة اخرى ، المعارضة البرلمانية يحدوه الى ذلك – في المحل الاول – رغبته في الحد من حملات النقد الاجنبية على حكومته . وهكذا صار في ميسور فتحي بك ، رئيس الوزراء السابق وسفير تركية في لندن ، ان يدخل الجمعية الوطنية المنتخبة حديثاً ، على رأس الحزب الجمهوري المستقل ؛ ولكن هذا الحزب لم يلبث ان حُلَّ ، بعد عدة اصطدامات وقعت في إزمير بين انصاره وانصار حزب الشعب . حتى اذا كانت الانتخابات الجديدة ، سنة ١٩٣٦ ، انتخب ثلاثة عشر نائباً مستقلاً ، بينهم اثنان يمثلان اليونان وواحد يمثل الارمن وواحد يمثل اليهود ؛ وكان الأمل معقوداً على هؤلاء في ان يعززوا جهود الحكومة والحزب من طريق الرقابة المخلصة والنقد النزيه . واذ كان الخلاف كثيراً ما يقع بين ممثلي حزب الشعب وموظفي الحكومة في الولايات ، فقد اضيفت مبادىء الحزب الى الدستور بقانون صدر في ٣ شباط (فبراير) سنة ١٩٣٧ ؛ وعُين وزير الداخلية ، في الوقت نفسه ، اميناً عاماً للحزب ، واستدعي ممثلوه في الولايات . وهكذا حُسم الصراع في سبيل السلطة

لمصلحة الدولة من غير اعتداء على صفتها الديموقراطية ، لأن سلطة هذه الدولة مستمدة ، على كل حال ، من الجمعية الوطنيـــة غير المسؤولة تجاه احد ، خلا ناخبيها . اما التقدم الهائل الذي حققتـه حياة تركية الاقتصادية في ظل النظام الكمالي فقد وُصف من قبل مراراً عديدة ، بحيث لا نرى حاجة الى ان نأتي على وصفـه هنا . ومهما يكن من امر فحسبنا التذكير بأن الزراعة لا تزال تؤلف ، من غير شك ، العمود الفقري في الاقتصاد الوطني التركي ، ولكن الصناعة التي كادت تكون مفقودة في العهد السابق ، ـ اذا اغفلنا صناعة السجاد القديمة المتركزة عادة في البيوت ـ ازدهرت ازدهاراً سريعاً يدعو الى الدهش ، بفضل التوجيه الحكيم الذي أُخضعت له . والواقع ان هذه الصناعـــة تؤلف في الوقت نفسه الاساس المتين لسياسة الحكومة العسكرية التي تعتمد عـــلى جيش مجهز ومدرّب على أساليب جديدة بالكلية ، كما تعتمد على اسطول مُعدّ لكي يسد حاجات الدفاع الوطني .

السياسة الخارجية

كان العنصر الرئيسي في سياسة تركية الخارجية خلال السنوات الأولى من حياة الدولة الناشئة ذلك الصراع الذي خاضته في سبيل امتلاك ولاية الموصل القديمة . ذلك بأن لهذه الولاية أهميتها الخاصة لما تنطوي عليه من ثروة بترولية لم تكن قد استغلت بعد ، ومن هنا طالبت بريطانية بأن تُضم الى العراق الموضوع تحت انتدابها ، في حين طالبت بها تركية على اساس من الميثاق الوطني ، لأن كثرة سكانها هم من الاكراد شأن الولايات المحاذية . وكان صلح لوزان

قد أرجأ تسوية هذه المشكلة تسوية نهائية ، على ان تُحال الى عصبة الامم اذا تعذّر الوصول الى اتفاق بشأنها . وبعـــد مفاوضات وتحقيقات متطاولة قامت بها لجنة برئاسة الجـــنرال لايدونر * الاستوني ، اعتُبر هذا الاقليم – وهو ذو اهمية استراتيجية أيضا بالنسبة الى تركيـة – جزءاً من أراضي العراق الواقعـــة تحت الانتداب ، في ١٥ كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٩٢٥ . وفي اتفاق أنقرة الموقع في ٥ تموز (يوليو) سنة ١٩٢٦ نزلت تركية عند هذا القرار بعد أن حصلت على تأكيد باشراكها بنسبة ١٠ ٪ في مشروعات استثمار البترول المزمع تنفيذها في المستقبل . ومن ذلك الحين زال التوتر الذي كان سائداً علاقات بريطانية وتركية، بفضل التقارب الاقتصادي والتعاون القائم على الثقة المتبادلة بين الجانبين . وفي ١٨ تموز (يوليو) سنة ١٩٣٢ انتُخبت تركية عضواً في عصبة الامم .

أما المعاهدة التي عقدتها الجمهورية التركية مع الاتحاد السوفياتي – بعد قيام تركية الجديدة مباشرة – فقد التُزمت التزاماً دقيقاً على الرغم من التباين الاساسي في مفاهيم الحياة الوطنية والاقتصادية عند الفريقين ، ثم عُزّزت بزيارتين قام بأولاهما وفد تركي على رأسه رئيس الوزراء عصمت اينونو الى موسكو سنة ١٩٣٢ ، وقـــام بالاخرى الى أنقرة وفد سوفياتي برئاسة فوروشيلوف**، مفوض الحرب . ومع أن الحكومة التركية حظرت كل دعاية شيوعيـة في أراضيها – حيث كان يتعذر على مثل هذه الدعاية أن تمـــد

* Laidoner

** Voroshilov

جذورها بعيداً لعدم وجود طبقة ضخمة من عمال الصناعة ، على أي حال – فقد جنت تركية فائدة اقتصادية كبيرة من الروسيا، بالأضافة الى ما حققته من اطمئنان على سلامة حدودها الشرقية [١٠].

وكان على تركية بعدُ ان تسوّي – مع جارتها الجنوبية، سورية الخاضعة للانتداب الفرنسي – مشكلة سنجق الاسكندرونة حيث يعيش السوريون مع أقلية تركية قوية . وفي معاهدة عُقدت مع فرنسة في ٢٠ تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٢١ اتفق الجانبان على أن تكون لهذا السنجق ادارته الخاصة ، وعلى جعل التركية اللغة الرسمية فيه ، وعدم التعرض لحياة الاتراك الثقافية . بيد أن هذه المشكلة التي أثارت الرأي العام التركي شيئاً كثيراً ، لم تسوّ الا بعد مفاوضات متطاولة بين الدولتين انتهت بمعاهدة صدقها مجلس عصبة الأمم في ٢٧ كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٣٧ . وقد ضمنت هذه المعاهدة للسنجق استقلاله التام في الادارة الداخلية ، ولم تربطه بسورية الا في ما يتصل بالسياسة الخارجية .

واستطاعت تركية ان توفق ، بدبلوماسية لبقة ، ما بين مطالب أعدائها القدماء في شبه الجزيرة البلقانية ومقتضيات كيانها السياسي المستقل الجديد . والواقع أنه كان من العسير جداً على اليونان أن تتخلى عن آمالها في استرداد مستعمرتها الايونية القديمة ، وهي آمال غذّاها الحلفاء أثناء الحرب . وقد استطاعت الدولتان القضاء على مصدر خطر من مصادر الاحتكاك بينهما من طريق

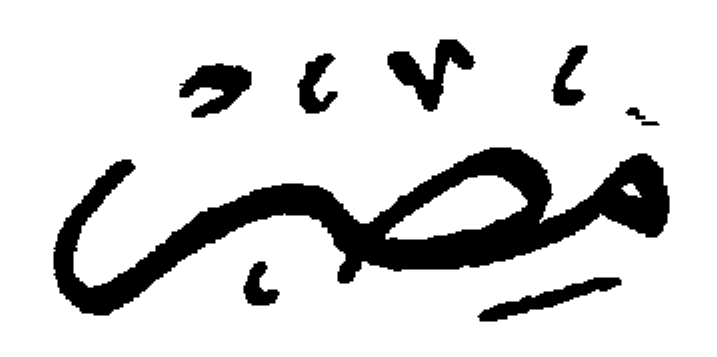
---

(١٠) انظر ياشكه G. Jaschke, *Der Weg zur russisch - türkischen Freundschaft*(*Welt des Islams*, XVI, 1936, 23—38)

تبادل السكان على نطاق واسع أورث اليونان ، بادىء الأمر ، متاعب اقتصادية كبيرة . حتى اذا أنجز هذا التبادل سنة ١٩٢٩ صار في ميسور الدولتين أن تعقدا ، في السنة التالية ، معاهدة حياد . وفي سنة ١٩٣٣ أتبعت هذه المعاهدة بضمان للحدود مدته عشر سنوات . أما بلغارية فقد وفقت تركية الى أن تعقد معها منذ سنة ١٩٢٥ معاهدة صداقة ما لبثت أن وسعت ودعمت سنة ١٩٢٩ بمعاهدة حياد ، على الرغم من أن بلغارية ظلت خارج الميثاق البلقاني الذي وقعته في أثينا (٩ شباط «فبراير» سنة ١٩٣٤) كل من تركية واليونان ويوغوسلافية ورومانيا ، والذي تعهدت فيه لا بحفظ السلام في ما بينها واحترام حدود كل منها فحسب ، بل بتبادل المساعدة العسكرية في حال الهجوم على احداها . كذلك دُرست مصالح الدول الاربع الاقتصادية في مجلس اقتصادي مشترك قرر في أثينا ، آذار (مارس) سنة ١٩٣٧ ، أن ينظم تصدير بعض المنتجات الزراعية تنظيما مشتركاً . والحق أن آخر القيود العسكرية التي فرضتها معاهدة الصلح على تركية انتهت الى أن تصبح ملغاة ، سنة ١٩٣٨ ، عندما عادت الحاميات التركية الى احتلال الدردنيل وأدرنة من جديد .

وفاة اتاتورك

وفي ١٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٨ ، توفي أتاتورك في استانبول وشعبه في أمس الحاجة اليه ، إثر مرض متطاول ، تاركاً للاتراك دولة مصونة في الخارج ، مزدهرة في الداخل يدبر شؤونها رفيقه القديم ، عصمت اينونو ، بوصفه ثاني رئيس للجمهورية التركية .



لم تعد أقدار مصر ، بعد احتلالها من قبـل البريطانيين سنة ١٨٨٢ ، مرتبطة بالاقدار المشتركة الخاصة بسائر الدول الاسلامية. صحيح ان بريطانية لم تستول ، باديء الامر عـلى بلاد النيل الا لصيانة طريقها البحرية الى الهند ، عبر قناة السويس ؛ ولكنها لم تكد تتولى مقدّرات هذه البلاد حتى واجهت مهامّ جديدة بالكلية. والواقع ان البريطانيين كانوا ينزعون ابداً الى آن يعالجوا هـذه المهـام — وفقاً للروح العملية التي تمـيز الانكلوسكسونيين — واحدة بعد اخرى بحسب ظهورها ، كما كانوا يتحاشون اتخاذ اي قرار حول مستقبل البلاد ١١ . وليس يحق لنا ، دون شك ، ان نعدّ من باب الرياء السياسي تلك التوكيدات التي اكثرَ الساسة البريطانيون من ترديدها والتي تنص على انهم لا يهـدفون الى المحافظة على مصالح الامبراطورية في تلك البلاد فحسب ، بل الى رفع مستوى المصريين من الوجهتين المادية والفكرية ايضاً * .

(١١) قابل اقرار اللورد كرومر Cromer في خاتمة كتابه *Egypt* .

* لا حاجة بنا الى النص على اننا لا نشارك المؤلف رأيه هـذا وكثيراً من

فالحق ان مصر ، على ما اعترف بعض الوطنيين المصريين الحصفاء ، مدينة للادارة البريطانية الى حد بعيد جداً . وإنه لمن العبث الذي لا طائل تحته ان نحاول الآن بحث ما اذا كان ممكناً ، لولا تدخل البريطانيين ، أن تُوَفق الثورة العَرابية الى ايجـــاد تسوية بين مطالب أسرة محمد علي ، بارستوقراطيتها التركية المدنية والعسكرية ، ومطالب أهل مصر الاصليين . ويحسن بنا أن نقرّ ان بريطانية ، وان لم تستطع ، بعد استيلائها على مصر ، حل هذه المشكلة ، فقد نجحت على الأقل في وضع اساس لحلها على الوجه الاكمل . صحيح ان الطبقات التي استبدت بالحكم في العهود السابقة كانت كثيراً ما تشمئز من وصاية القنصل البريطاني العام ، السير افلين بارنج * (الأرل كرومر في ما بعد) الفظـــة القاسية ، من ١١ ايلول (سبتمبر) سنة ١٨٨٣ الى ٦ نوار (مايو) سنة ١٩٠٧ ؛ ولكنّ ثمة مجالاً كبيراً للشك في ما اذا كان من الميسور ان يتحقق ازدهـار البلاد وارتفاع مستوى سكانها الفكري والمعنوي بمثل هذه السرعة التي تحققا بها فعلاً ، لولا هـــذه الوصاية . ومهما يكن من شيء ، فليس ههنا محل الكلام المفصل على تاريخ الادارة البريطانية ؛ انه بحث يتصل بدراسة الامبراطورية البريطانية . كذلك لن نشغل انفسنا هنا بالتأريخ للتقلبات الوزارية التي لا تدل الا على مـدى النفوذ البريطاني في الدوائر الحاكمة . ولكننا سنجتزيء بمحاولة

آرائه في هذا الفصل وغيره . والحق ان كثيراً منها في حاجة الى فضل غربـلة وتمحيص . [المعربان]

* Sir Evelyn Baring

وضع صورة موجزة عن تطور الشعب المصري في ظل الاحتلال البريطاني .

في ظل كرومر

حتى السفير البريطاني في استانبول ، اللورد دافرين* ، وكان اول من مثل حكومة بلاده في مصر بعد الاحتلال ، عمل جاهداً لتحسين احوال الفلاحين البائسة . فقد جرت عـــادة الموظفين الاداريين المصريين، حتى ذلك الحين، بان يحققوا مهمتهم الرئيسية، أعني جباية الضرائب ، من طريق إنزال أقسى العقوبات الجسدية وغيرها من ضروب التعذيب بكل من يتخلف عن أداء الضريبة . وانما حُرّمت هذه الاساليب بأمر وضعه اللورد دافرين موضع التنفيذ. وأتبع ذلك بإلغاء العمل الالزامي(السخرة) - الذي كان يُفرَض على الفلاحين ابتغـاء تنظيف قنوات الري قبل فيضان النيل - إثر نضال سياسي متطاول مع ممثلي لجنة الرقابة الماليـــة الدولية التي لم يكن بد من انتزاع موافقتها في سبيل الحصول على الاموال الضرورية للنهوض بأعباء العمل الحر. ولم يتم التحرر نهائياً من العمل الالزامي حتى وفاة توفيق باشا ، في كانون الثاني (يناير) سنة ١٨٩٢ ، فكان هذا الحدث بمثابة هـــدية قُدمت الى الشعب المصري بمناسبة ارتقاء الخديوي الجديد العرش . ولكن الضرائب التي كان السكان يرزحون تحتها ظلت مع ذلك ثقيلة فادحـة ؛ إذ كان عليهم ان ينهضوا ، بالاضافة الى نفقات الادارة العامـــة ، بنفقات الاحتلال البريطاني والمستشارين البريطانيين المعيـنين في

* Lord Dufferin

مختلف الوزارات – والذين كان لهم نفوذ ضخم يفرضونه في كل صغيرة وكبيرة – وجمهرةٍ من الموظفين الاداريين أيضاً. والواقع ان مستشاري وزارة المالية – السير ڤينسانت* اولا ثم السير آلوين بامر** ابتداء من سنة ١٨٨٨ – وفقا تحت إشراف اللورد كرومر الى ان ينظما المالية المصرية تنظيما دقيقاً جداً ، ولكنهما عجزا عن تخفيض دين الدولة تخفيضاً محسوساً . اضف الى ذلك ان احترام الرقابة المالية الدولية قاد في بعض الاحيان الى اتخاذ اجراءات شاذة بعض الشيء . كذلك عجز المشرفون على الشؤون المالية عن تخفيف وطأة الضرائب الثقيلة . ولم تغفل السلطات مورداً من موارد الضريبة الا استغلته . وكان في استطاعة الافراد الخاضعين للخدمة العسكرية ان يشتروا اعفاءهم منها بواسطة البدل العسكري كما جرت العادة من قبل ، مع ان ذلك ظلّ وقفاً على الاثرياء دون سواهم . ولكن علينا ان لا نغفل عن ان زراعة القطن التي سبق لمحمد علي ان ادخلها الى مصر، والتي عززها اسماعيل من بعده ، قد انتهت الى نجاح لم يخطر لأحد ببال ، على ايدي المهندسين المائيين البريطانيين الذين استطاعوا أن يطبّقوا هنا خبرتهم المستفادة في بلاد الهند . من أجل ذلك كان لا بد من انشاء سلسلة من الخزانات تساعد على اصطناع نظام في الري غير خاضع لرحمة الاحوال الجوية . وهكذا جدد سكوت مونكريف***

E. Vincent *

Elwin Palmer **

Sir Colin Scott - Moncrieff ***

في ما بين سنة ١٨٨٥ وسنة ١٨٩٠ الخزان الذي سبق لأحد المهندسين الفرنسيين ان أقامه عند مدخل الدلتا في ما بين سنة ١٨٤٢ وسنة ١٨٦٣ والذي أثبتت الايام انه غير واف بالحاجة ؛ ومن ثم تضاعف محصول الدلتا من القطن . وفي سني ١٨٩٨ — ١٩٠٢ تم انشاء خزان اسوان ، وهو من عمل السير وليم ولكوكس* . ويجب ان لا ننكر ، من غير شك ، ان مصر قد سيقت ، من هذه الطريق ، الى مخاطر الاقتصاد العالمي ، هذا الاقتصاد الذي اخذت تحس أزماته الثقيلة في مناسبات مختلفة ، وبذلك فقدت قدرتها على أن تؤمن تغذية سكانها من نتاج تربتها الخاصة . وكان من الطبيعي ان يستنكر المصريون سكوت بريطانية وعدم تحريكها ساكناً للقضاء على نفوذ الاجانب ومركزهم الممتاز الذي تمتعوا به بفضل « الامتيازات الاجنبية » ، والذي ساعدهم في كثير من الاحيان على التحكم بحياة البلاد الاقتصادية . وكان من الطبيعي ايضاً ان يحسب المصريون هذا السكوت حيفاً وظلماً . ولكن أبرز ما تُلام عليه ادارة كرومر ، لوماً كبيراً ، انها لم ترصد غير اعتمادات هزيلة جداً لتعليم الشعب ، في حين خصصت اموالاً ضخمة للانشاءات التي تنطوي على خدمة المصالح البريطانية ايضاً ؛ فمن سنة ١٨٨٢ الى سنة ١٩٠٢ مثلاً لم تبلغ اعتمادات التعليم الشعبي نصف نفقات خزان اسوان الا بعد جهد . وقد حاول خلفه اللورد لويد** ، ان يلتمس له عذراً ، فأشار الى فقدان الوسائل

---

* William Willcocks

** Lord Lloyd

الضرورية لذلك ، قائلاً انه لم يكن من همّ الدولة المحتلة ، على كل حال ، ان تفرض نفوذ الثقافة البريطانيــة على البلاد [١٢]. وليس من شك في ان هذه الثقافة مـــا كانت لتُفيد المصريين إلا قليلاً، ولكنها كانت خليقة بان تخدم مصالح البريطانيين وتعزّز ثقافتهم في وجه الثقافة الفرنسية التي اقبلت عليها الطبقات المصرية العليا .
ومهما يكن من شيء ، فيجب أن لا نغفل حقيقة راهنة وهــي ان الدوائر الحاكمة في مصر،حتى بعد تحرّرها من السيطرة البريطانية، لم تُبدِ من الاهتمام بقضايا الثقافة إلا قدراً يبدو ضئيلاً جداً اذا قيس باهتمامها البالغ بالمسائل الاقتصادية ؛ وهي حال كانت موضع الشكوى المريرة من قِبل الدكتور طه حسين ، عميد كلية الآداب بجامعة القاهرة * ، في كتابٍ له ظهر في مطلع سنة ١٩٣٩ .

بين عباس حلمي والانكليز

في مثل هذه الظروف يكون من العبث التحدّث عن حياة سياسية مستقلة في مصر ، قبل الحرب العالمية الأولى . فالواقع ان أول حركة من حركات المقاومة الوطنية ضدّ الحـــكم الاجنبي ، وكانت ضعيفة باديء الأمر ، لم تظهر إلا سنة ١٨٩٢ عندمـا رقي العرش عباس الثاني (حلمي) بعد وفاة ابيه توفيق ؛ وكان عباس في ميعة الشباب آنذاك ، وقد تلقى علومه في فينا . وفي السنوات الاخيرة من حكم توفيق كان على رأس الحكومة نوبار باشا ، وكان

---

(١٢) انظر *Egypt since Cromer*, I, London, 1933, p. 159.

* وزير المعارف المصرية اليوم . اما الكتاب الذي يشير اليه المؤلف فهو « مستقبل الثقافة في مصر » . [المعربان]

أرمنياً ، ثم خلفه رياض باشا ابتداءً من سنة ١٨٨٨ ، وقد كان عليها جميعاً ان يعتزلا الحكم عند اول محاولة ، مهما تكن ضئيلة ، الى تخطي الاجراآت التي اتخذها كرومر . فلما رقي عباس العرش كانت مقاليد الحكم في يد مصطفى فهمي ، وكان موالياً لبريطانية لا يعصي لها امراً . حتى اذا اشتدّ عليه المرض في نهاية سنة ١٨٩٢ اغتنم عباس هذه الفرصة ليتخلص منه وعيّن خلفاً له فخري باشا . ولم يُستشر اللورد كرومر في ذلك مقدّماً . ولكن هذه الخطوة نفسها كانت وبالاً على الخديوي ؛ فقد اضطر ، تحت الضغط البريطاني ، الى ان يقبل الوزير الذي اختاره ، وإن يكن البريطانيون لم يُكرهوه على التعاون مع مصطفى فهمي ، كرةً اخرى ، إذ تولى الحكومة هذه المرة رياض باشا . ولقيَ الخديوي إهانةً ثانية عندما تجرّأ على انتقاد حالة الجيش ، وكان يقوده ضباط بريطانيون ، في رحلة تفتيشية قام بها في وادي حلفا . عندئذ أُكرِه على تسريح وكيل نظارة الحربية ، ماهر باشا ، ليحلّ محله أحد صنائع السّردار كتشنر الطيعين ؛ ليس هذا فحسب بل لقد أُكره الخديوي على ان يسحب انتقاده بصورة علنية أيضاً . ومن ذلك الحين أقلع عباسٌ عن التدخل في شؤون الحكومة وفرَغ لأدارة ممتلكاته الخاصة . والحق انه لم يلقَ من جانب مولاه عبد الحميد ، أيما تأييد ضدّ بريطانية . كذلك تخلّت فرنسة عن نفوذها في مصر بعد أن أطلقت بريطانية يدها في مرّاكُش في اتفاق ٨ نيسان (ابريل) سنة ١٩٠٤ . أما مدى شعور بريطانية بسيادتها على مصر فيتجلى في الخلاف الناشب حول

ميناء العَقبة في شبه جزيرة سِيناء . وتفصيل ذلك أن السلطان مدّد سكة حديد الحجاز حتى مَعَان ، خريفَ سنة ١٩٠٤ ، ابتغاء تدعيم مركزه كخليفة ، في بلاد العرب ؛ ويقال إنه كان يعتزم انشاء خط فرعي الى العقبة ، وهو خطٌ كان يُمكن ان يُفيد منه الحجاج المصريون . وفي حين كانت بريطانية حتى ذلك الوقت لا تَشغَل نفسها ، إلا في النـــادر ، بشؤون شبه جزيرة سيناء اذا بها الآن توجّه بعثة مكلفةً تعيين الحدود — وكانت مـا تزال غامضة لم تتضح معالمها — بين الامبراطورية العثمانية ومصر؛ وأكرهت السلطانَ على التخلي عن مشروعاته بأن تهدّدتـه بمظاهرة يقوم بها اسطولها البحري .

مصطفى كامل والحزب الوطني

ولم يجد الخديوي ، في جميع خلافاته مع السلطة البريطانية ، أيما مساندة من الشعب المصري . فقد علّق آماله ، سنة ١٨٩٣ ، على [الشيخ] عليّ يوسُف مؤسس جريدة « المؤيّد » ، ولكن على غير طائل ؛ فقد عجز الحزب الاصلاحي الصغير الذي اجتمع حول محرّر « المؤيد » عن احراز ايما نفوذ سياسي . والواقع ان أولى النزعات نحو تكوين إرادة وطنية لم تصدر عن الخديوي ، ولكن عن ممثل الطبقة البرجاسية * التي اقتضت الادارة البريطانية اول الأمر نشوءها والتي تلقى ابناؤهـــا ثقافتهم في فرنسة . من هذه الطبقة ظهر مصطفى كامل — وكان أبوه مهندساً مصرياً —

* Bourgeois راجع هامش ص ٨١ مـــن الجزء الرابع من هذا الكتاب . [المعربان]

فدرس القانون في تولوز حيث تعرّف الى الصحافية الفرنسية البعيدة النفوذ ، جوليت آدم * فلما آبَ مصطفى الى وطنه [انقطع للجهاد في سبيل الاستقلال ، واخيراً] أسس « الحزب الوطني » سنة ١٩٠٧ . وانما كان يأمل في ان يكتسب تأييد الرأي العام الاوروبي لقضية بلاده وتحريرها من الاحتلال فبذل غاية الجهد لنشر الحقيقة عن القضية المصرية في جميع العواصم الغربية وفي مصر نفسها . والواقع ان صحيفته « اللواء » التي أسسها سنة ١٩٠٠ ، والتي ظهرت ابتداء من سنة ١٩٠٧ باللغتين الانكليزية والفرنسية ايضاً ، نالت رواجاً واسعاً . وفي سنة ١٩٠٤ أنعم عليه السلطان بلقب باشا ، بعد ان دافع عن مشروع الخط الحديدي الحجازي دفاعاً ملتهباً . ولكن الخديوي اخذ يخشى نفوذه ، بعد ان هوّل كرومر عليه * وفتّ في عضده ؛ وفي تلك السنة نفسها اقلع عن نصرته وتأييده .

حادثة دنشواي

وانتعشت آمال الشرقيين جميعاً انتعاشاً عظيماً لدن تسامعوا بانتصارات اليابانيين على الروس ، هذه الانتصارات التي غناها شعراء مصر في ذلك العهد كمثل يتعين على جميع الشعوب الآسيوية ان تحتذيه في صراعها ضد الاستعمار الاوروبي . وكان لحادثة غير ذات اهمية في حد ذاتها ان تكشف للشعب كافة ، لاول مرة ، عن مركزه الحقيقي — ذلك المركز الذي لا يليق به . ففي ١٣

---

* Juliette Adam

* اي على الخديوي .

حزيران (يونيو) ، سنة ١٩٠٦ ، كان بعض الضباط البريطانيين يصطادون الحمام في قرية « دِنْشَوَاي » [١٣] في الدلتا فأصابوا امرأة مصرية . فلم يكن من الفلاحين ، الذين هاجهم الحادث هياجاً كبيراً ، الا ان هجموا عليهم بالهراوى والنبابيت فقتلوا واحداً منهم فيما هو يلوذ باذيال الفرار . وأمر كرومر بانزال أشد العقاب بأولئك الفلاحين ، فشنق اربعة منهم على رؤوس الاشهاد في ٢٨ حزيران (يونيو) ، وجلد سبعة عشر بالسياط ثم حملوا الى السجن . والواقع ان هذا القصاص الوحشي أثار عاصفة من الاستياء — لا في مصر وحدها ، بل في اوروبة وفي البرلمان البريطاني ايضاً — ظل صداها يتردد زمناً طويلاً في الصحف المصرية والشعر الوطني ، وزعزعت مركز بريطانية في البلاد من أساسه . واحتج مصطفى كامل بشدة لدى رئيس حكومة الاحرار في لندن ، السير كامبل بانرمان * وطالب باقالة كرومر . والحق ان هذا الاخير غادر مصر في نوار (مايو) سنة ١٩٠٧ بعد ان ابدى عدم استعداده للنزول عند رغبة حكومة حزب الاحرار البريطاني (وكان هذا الحزب مستولياً على الحكم آنذاك) في ترضية الشعور المصري . وانما حل محله السير ألدون جورست ** الذي أبدى استعداده لتنفيذ سياسة الاحرار آملاً من وراء ذلك

(١٣) وقد حرفت في التقارير البريطانية ، ومن ثم في جميع المصادر الاوروبية ، الى Denshawi .

(*) Sir Campbell Bannerman

(**) Eldon Gorst .

تدعيم مركز بريطانية على ضفاف النيل . وسرعان ما واجـه جورست مصاعب جسيمة ، اذ كانت البـلاد رازحة تحت وطأة ازمة مالية خطيرة ، ومهـددة في الوقت نفسه بهبوط غير طبيعي في مستوى مياه النيل . واذ قد حاول جورست بادىء الامر ان يكسب عطف الخديوي فقد أعلن مصطفى كامل الحرب عليه ايضاً ، ودعا الى عقد مؤتمر وطني ينتظم ١٠١٧ مندوبا يمثلون البـلاد عن بكرة أبيها . ولقد انتخبه هذا المؤتمر رئيساً له مدى الحياة ، فألقى خطبة متقدة ألهب بهـا عواطف سامعيه مؤكداً الهـدف الذي يعمل من اجله : وهو ان تكون مصر للمصريين من طريق ثقافـة سياسية تستغرق افرادَ الشعب كله . بيد أن مرضاً متطاولاً ما لبث ان قضى على حيـاته في ١٠ شباط (فبراير) سنة ١٩٠٨ . والواقع ان حزبه ضعف من بعده ضعفاً كبيراً ، فلم يكن له ، سنة ١٩٣٨ ، غير ثمانيـة مقاعد في البرلمان المصري .

كتشنر يخلف جورست

ولم يكتفِ جورست باثارة الخـديوي على الحزب الوطني بل عدا ذلك الى تحريك الاقباط عليه ، بحجة ان مؤسسه [مصطفى كامل] كان يقول بالجامعة الاسلامية التي عمل لها السلطان العثماني. فلما استقال رئيس مجلس النظار ، مصطفى فهمي ، حمل جورست الخديوي على إسناد هذا المنصب الى رجل قبطي ، هو بطرس غالي باشا ناظر المالية السابق . فما كان من الوطنيين الا ان شنوا عليه حملة شعواء أدّت الى مصرعه، في ٢٠ شباط (فبراير) سنة ١٩١٠،

والى قطيعة بين المسلمين والاقلية النصرانية تهددت البلاد بنشوب حرب اهلية دامية . حتى اذا مرض جورست مرضاً ثقيلا ، سنة ١٩١١ ، أسندت الحكومة البريطانية منصبه الى سردار الجيش المصري السابق ، اللورد كتشنر . ولقد وفق بادىء الامر ، الى ان يحول بين الوطنيين ومدّ يد المساعدة الى الاتراك إبان الحملة الايطالية على طرابلس الغرب . وبينا اصطنع جورست الخديويَ سناداً له بادىء الامر عمد كتشنر في الحال الى فرض سيادته عليه . ففي صيف سنة ١٩١٢ ، عندما حاول بعض الطلاب الاعتداء على حياة كل من الرجلين قضى كتشنر تقريباً على الحزب الوطني بما اصطنع من شدة بالغة في معاقبة المحرضين على الاعتداء . ليس هذا فحسب ، بل انه سعى الى رفع مستوى الفلاحين ليوازن بهم مؤيدي الحزب من الطبقات البرجاسية المثقفة ، فأصدر قانونا حرم به نزع ملكية الاراضي الزراعية التي تقل مساحتها عن خمسة افدنة [لحماية الفلاح الصغير من براثن المرابين] * ومما لا شك فيه ان نظارة الزراعة التي انشأها إنما خدمت المصالح البريطانية في زراعة القطن المصري ، في حين عملت في الوقت نفسه للقضاء على ما كان لشركة الخديوي الزراعية من تغلب وسلطان .

واخيراً آن للبريطانيين ، في ما يبدو ، ان يلبّوا رغبة الشعب المصري في التمتع بنعمة النظام البرلماني الاوروبي . وكان القانون الاساسي المعمول به حتى ذلك الوقت هو القانون الذي ادخله اللورد دافرين في غرّة نوار (مايو) عام ١٨٨٣ . وقد اوجد هذا القانون،

* قانون « الخمسة الافدنة » . [المعربان]

علاوة على مجالس المديريات ، مجلساً للشورى * مؤلفاً من ثلاثين عضواً ، اربعة عشر منهم معينون من قبل الحكومة والآخرون منتخبون بواسطة مجالس المديريات والمدن الرئيسية ، وجمعيةً عموميةً مؤلفة من اثنين وثمانين عضواً ، ستة واربعون منهم منتخبون ، اما الباقون فكانوا الوزراء الستة واعضاء مجلس الشورى . ولكنّ الدستور الذي أُعلِن في ٢٤ تموز (يوليو) سنة ١٩١٣ استعاض من هذه الجمعية العمومية ومجلس الشورى بجمعية تشريعية مؤلفة من واحد وثمانين عضواً ، تُعيّن الحكومة خمسة عشر نائباً منهم ويُنتخب الباقون (وعددهم ستة وستون) انتخاباً غير مباشر . ومع ان هذه الجمعية التشريعية كانت تملك صلاحية تصديق الضرائب ، فلم يكن في وسعها رَفْض المشاريع التي كانت تتقدم بها الحكومة اليها . بيد ان هذه الحياة النيابية الجديدة ما لبثت ان تعطّلت فُجاءةً عند نشوب الحرب العالمية الاولى .

اعلان الحماية البريطانية على مصر

وفي ٤ آب (أغسطس) سنة ١٩١٤ فُرِضت الأحكام العُرفية في طول البلاد وعرضها ؛ وفي ١٠ ايلول (سبتمبر) أُعلنت الحرب على تركية . ثمّ ان الحكومة البريطانية اعلنت الحماية على مصر في ١٨ كانون الاول (ديسمبر) ، وخلعت الخديوي عباس حلمي وأقامت [عمّه] الأمير حسين كامل [اكبر افراد الاسرة الخديوية إذ ذاك] سلطاناً على مصر . وسرعان ما تولى حكمَ البلاد الفعليّ

* « مجلس شورى القوانين ». [المعربان]

السير هنري ماكماهون *، السكرتير السياسي السابق لحكومة الهند، بوصفه مندوباً سامياً. وكانت مهمته الرئيسية أن يحشد جميع موارد البلاد لا للدفاع عن جبهة شبه جزيرة سيناء فحسب، بل لشنّ حرب هجومية على تركية. وفي آب (اغسطس) سنة ١٩١٥ أرسل جيش من العمال المصريين الى مودروس. ولكن الاجور المرتفعة نفسها ما لبثت ان عجزت عن اجتذاب الفلاحين للتطوع في مثل هذا العمل الذي يُبعدهم عن اهلهم ووطنهم، وخاصة بعد ان تعرضت احدى فرق العمال لشواظٍ من نار، في شبه جزيرة سيناء، ومن ذلك الحين اضطرت الحكومة الى أن تجند العمال بالقوة. والواقع ان المهام المضنية التي كان على المندوب السامي ان يضطلع بها، والتوفيق بين مطالب القيادة العليا الملحّة من جهة، والمقاومة السلبية المصرية من جهة اخرى، وعدم تيسر المعونة والمشورة من لندن المشغولة عنه بامور اخرى — كل هذه اضطرت ماكماهون الى ان يتخلى عن منصبه للسير ريجينلد وينجت **، حاكم السودان العام السابق.

وليس من شك في ان الآلام التي اضطرت مصر الى احتمالها في حرب لم تكن يوماً في مصلحتها انما خُففت الى حدّ ما بسبب من الاموال الاجنبية التي اخذت تتدفق على البلاد مع تدفق الجيوش، على الرغم من ان نفعها اصاب في الدرجة الاولى التجار لا الفلاحين الذين اقتُلعوا من بيوتهم وانتزعت منهم مواشيهم

---

* Henry McMahon

** Reginald Wingate

وانعامهم . وكانت المتاعب التي أدت اليها زراعة القطن المطردة النمو ، في ما يتصل باعاشة البلاد ، قد انتهت آخر الامر الى ان تبلغ حداً اضطر الحكومة الى ان تحظر ، في ايلول (سبتمبر) سنة ١٩١٧ ، زراعة القطن حظراً تاماً في مصر العليا ؛ ولكن اصحاب الاراضي كانوا يجدون أن من مصلحتهم الاستمرار في زراعة القطن ودفع الغرامة الطفيفة المفروضة على مخالفي قرار الحكومة ، بعد أن رأوا الى اسعار هذه البضاعة ذات السوق المتسعة ، سعة العالم ، ترتفع ارتفاعاً مذهلا حقاً [١٤] . وإذ قد اخفقت جميع التدابير المتخذة لكبح جماح المجاعة فقد ثقلت وطأة الحرب على الطبقات الفقيرة اكثر فأكثر ، في حين أفاد منها الاغنياء ، ووفقوا الى التهرّب من إسداء ايما مساعدة للمعوزين .

السلطان فؤاد يخلف حسين كامل

وفي ٩ تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩١٧ توفي السلطان حسين [كامل] ، وكانت صحته قد ساءت منذ زمن طويل . ولما كانت بريطانية قد خسرت بوفاته سنادها الرئيسي في البلاد فقد بدا لها ان تضمّ مصر الى امبراطوريتها ، وخاصة بعد ان تخلى ابن السلطان ، تخلياً صريحاً عن حقه في العرش . ولكن البريطانيين آثروا آخر الامر ان يختاروا سبيلا اكثر حصافة ، فداروا عواطف المصريين

---

(١٤) فبينما كان السعر في شتاء ١٩١٤ ـ ١٩١٥ لا يزيد على ١٢ دولاراً القنطار ، اشترت الحكومة البريطانية ، سنة ١٩١٨ ، كامل محصول القطن بـ ٤٢ دولاراً القنطار ؛ وفي سنة ١٩١٩ ارتفع السعر ايضاً حتى بلغ ٢٠٠ دولار . راجع :
Lord Lloyd, *Egypt since Cromer*, I, p. 244.

وأسندو الأمر الى [الأمير] احمد فؤاد، أخي السلطان، على الرغم من أنه كان يحيا ، على الغالب ، في ايطالية ، وكان قد اصبح غريباً عن البلاد ، أو يكاد .

سعد زغلول والثورة المصرية

وعندما وضعت الحرب العالمية اوزارها واجهت بريطانيـــة حالةً جديدة بالكلية ، في مصر . ذلك بأن تصريحات ولسن * القائلة بأن العالم سينظم، من جديد ، على أساس من حقّ الشعوب في تقرير مصيرها كانت قد لقيت صدىً حماسياً في تلك الديار ، أيضاً . وهكذا برز الرجل الذي قُدّر له ان يقرّر تاريخ مصر طوال العقـــد التالي : أعني سعد زغلول باشا . ولم يكن سعد آنذاك حديث عهدٍ بالسياسة ، بدليل هذا اللقب الذي كان يحمله . وُلد [في بلدة إبيانة من اعمال مديرية الغربية] ، وكان أبوه فلاحاً . فدرس الحقوق واحترف المحاماة ، فعهدت اليـــه الأميرة نازلي بنت الأمير مصطفى فاضل ، وكان صديقـاً لرجال تركية الفتاة ، في الاشراف على ممتلكاتها . وقد مثّل أول أدواره السياسية – بوصفه صِهر مصطفى فهمي أحد المقرّبين الى اللورد كرومر – سنة ١٩٠٧ عندما أسس حزب الشعب الذي كان كرومر يرجو أن يحدّ بهِ من نفوذ حزب مصطفى كامل (الحزب الوطني) . ولكن حزب الشعب هذا لم يوفّق الى الاتصال بالأمة ، فاضطرّ الى ان يقف نشاطهُ منذ السنة الثانية من الحرب العالمية . ثم ان كرومر أسند الى سعد نظارة المعارف المُنشأة حديثاً ، مكافأةً

* Wilson

له على خدماته . وفي عهد جورست تولى سعد نظــارة الحقانية (وزارة العدل) ، ولكنه استقال في نيسان (ابريل) سنة ١٩١٢ إثر خلافٍ مع الخديوي عباس حلمي ؛ وسرعان ما انتُخب بعد ذلك نائباً لرئيس الجمعية التشريعية الجديدة . وما هي إلا فترة حتى اكسبته فصاحته الفطرية عدداً من الانصار كان يتزايد يوماً بعد يوم ؛ وقد وفّق بتأييـــد من هؤلاء إلى ان يُورث كتشنر نفسه مصاعبَ خطيرة في بعض الأحيان . والواقع ان القنصل العام أضاع في مطلع سنة ١٩١٤ فرصةً سنحت للتخلص من هذا المهيِّج المُتعِب عندما حاول حمو سعدٍ أن يحرره من عُسرِهِ المالي بتعيينه رئيساً لبعثة الطلاب المصريين في باريس ؛ وإنمـــا اضاع القنصل العام هـذه الفرصة السانحة بحكـــم نفوره منه وكراهيته له . كذلك لم تقترن رغبـــة [السلطان] فؤاد في اسناد احدى الوزارات اليه بموافقة السير ريجينلد وينجت . ولكن هذا الرجل الطموح وجد الآن الفرصة المناسبة للعمـــل فاغتنمها . ففي ١٣ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩١٨ شكل وفداً باسم الشعب المصري لمقابلة السير وينجت . وكان هذا الوفد يتألف من سعد ، رئيساً ، ومن صديقيه [عبـد العزيز فهمي بك (باشا) وعلي شعراوي باشا] ، حتى اذا اجتمعوا الى ممثـــل بريطانية سألوه السماح لهم بالسفر الى انكلترة ليطلبوا الى حكومته ان تعلن استقـلال مصر التام ، فلم يكن من المندوب السامي الا ان أجابهم بانه لا يستطيع ان ينزل عند رغبتهم . في تلك الساعة ولد حزب الوفد الذي استطاع ان يعتبر نفسه ، طوال عقدين من

الزمان ، الممثل الوحيد المفوض للشعب المصري . وإذ كانت البلاد العربية الاخرى لا تزال تعلل نفسها ، في ذلك الحين ، بأمل الدفاع عن مصالحها أمام مؤتمر الصلح فقد استشعر المصريون ، الذين أنكر عليهم هذا الحق بالضيم الشديد ، لا سيما وقد ضحوا تضحيات كبيرة جداً في سبيل انتصار بريطانية . والواقع ان السير ريجينلد ادرك ، في الحال ، ان سعداً وانصاره خليقون بان يكونوا اقل خطراً في مؤتمر الصلح ، حيث سيتعيّن عليهم ان يعملوا في جوّ لم يألفوه ، منهم في مصر نفسها حيث كان في ميسورهم ان يرسموا لبريطانية الخطوط الرئيسية لسلوكها ؛ من اجل ذلك اقترح على وزير خارجية بريطانية ، الذي كان قد استدعاه الى لندن للمناقشة في الأمر ، ان يُقر مطالب الوفد ، ولكنه لم يلق أذناً واعية . وكانت حكومة مصر قد استقالت ، اثناء غيابه ؛ وفي ٣ آذار (مارس) هدد سعد السلطان باللجوء الى العنف اذا ما قام بمحاولة لتأليف حكومة جديدة . وفي هذا الجو المضطرب حسِبَ السير مِيلْن تشيتهام * ، القائم باعمال وينجت ، ان أفضل سبيل لحل الأزمة هو إبعاد زعماء الوفد عن البلاد . ووافق وزير خارجية بريطانية على اقتراح تشيتهام القاضي بنفيهم الى مالطة ؛ وفي ٨ آذار (مارس) سِيقَ سعد وثلاثة ** من أشد اعوانه صلة به ، من الاسكندرية الى المنفى ، على متن مدمرة بريطانية . وما تسامع الناس بنبأ اعتقالهم حتى نفر الطلاب الشباب

(*) Milne Cheetham .

(**) وهم اسماعيل صدقي باشا ومحمد محمود باشا وحمد الباسل باشا [المعربان]

الى الشوارع متظاهرين – وقد ألّف هؤلاء الطلاب ايضاً طليعة جميع الحركات الثورية التي قامت بعد – وسرعان مـــا اصبحت البلاد كلهـــا في حالة تمرد وثورة . وفي ١٧ آذار (مارس) قُطع كل اتصال مع القاهرة، وحاصر الثوار الحاميات الصغيرة في مصر العليـــا . ولم يوفق الجنرال بولفن * الى إقرار النظام في طول البلاد وعرضها الا في ١٠ نيسان (ابريل) ، من طريق استعمال الطائرات لنقل الجنود . وعلى أية حال ، فقد كان لويد جورج قد عزم ، في تلك الاثنـــاء ، على ان يبعث بالجنرال السير ادموند ألنبي** ، الشهير بقيادته الحملة الحليفة في فلسطين، الى مصر ، مكلفاً اياه الحفاظ على الحماية بأي ثمن . فلم يكد يصل الى القاهرة في ٢٥ آذار (مارس) حتى حاول تهدئة الشعب ببيان اذاعه ؛ وفي ٧ نيسان (ابريل) وعد باطلاق سراح الزعماء المنفيين في مالطة . وفي ٩ نيسان (ابريـــل) تولى رشدي باشا رئاسة الحكومة من جديد ، ولكن الاضطراب واضراب الموظفين لم ينتهيا الا بعد ان هدد ألنبي ، في الثاني والعشرين من الشهر نفسه، بتطبيق الاحكام العرفية في أقسى صورها . فخشي الموظفون سوء المَغَبّة واستأنفوا أعمالهم ؛ وفي نوار (مـايو) صار في ميسور [محمد] سعيد باشا ان يؤلف حكومة جديـدة ؛ ولكن الثوار كانوا قد اختبروا قوتهم فهم على استعداد لاستعمالها من جديد ، عند اول فرصة تسنح لهم . وانما سنحت هذه الفرصة عندما عهدت

(*) Bulfin .

(**) Edmund Allenby .

الحكومة البريطانية الى اللورد ملنر* - بناء على اقتراح اللنبي - في رئاسة لجنة مهمتها دراسة الحالة السياسية في البلاد واقتراح ما تراه مناسباً بسبيل وضع دستور جديد . ومهما يكن من أمر فقد كان الوفد غير راغب في أن يحصل على هذا الدستور من الخارج، بل كان يبغي ان يقرّر بنفسه مستقبل البلاد. ولسنا ندري السبب الذي من أجله أفسحت الحكومة البريطانية للوفد في هذا المجال ، فتركته يُثير الشعب على بريطانية طوالَ اشهر الصيف والخريف، حتى اذا بلغ ملنر القاهرة في ٧ كانون الاول (ديسمبر) كان سعيد باشا قد استقال كرةً اخرى وكانت ثورة الشعب قد نفَّست عن نفسها من طريق سلسلة من الاعتداءات على الجنود البريطانيين . وفي ١٥ كانون الاول (ديسمبر) جرت محاولة للقضاء على حياة [يوسف] وهبة باشا رئيس الوزراء الجديد ، فلم ينجُ منها إلا بمعجزة .

مشروع ملنر

تحت ضغط هذا الاضطراب السياسي الذي استفحل أمره في مطلع السنة الجديدة بما انضاف اليه من ازمات اقتصادية ، انتهت لجنة ملنر الى رأي يقول بأن مركز مصر الدولي ، الذي لم يكن قد حدّد بعدُ ، تحديداً نهائياً من وجهة النظر القانونية ، لا يمكن ان يسوّى إلا بمعاهدة مع بريطانية . وقد نص مشروع هذه المعاهدة على ان تعترف بريطانية باستقلال مصر شرط أن توافق على بقاء قوة عسكرية بريطانيــة في الاراضي المصرية ، وتعيين

* Milner

مستشار بريطاني في وزارة الحقانية (العدل) وآخر في المالية ، وشرط ان تتعهد بألا تعقد معاهدة سياسية ما مع دولة اجنبية اخرى بغير موافقة بريطانية ، وان تمنح بريطانية حق حماية الاجانب من تطبيق القوانين المصرية تطبيقاً جائراً عليهم . ولكن هذه الشروط – وتعتبر ذات أثر خطير اذا قيست بالشروط التي سبق لبريطانية تقديمها – أثارت معارضة شديدة في البلاد . وكان رجال الوفد لا يزالون في باريس – وقد سافروا اليها تواً من مالطة – فاضطر ملنر الى دعوتهم لمؤتمر يُعقد في لندن ، [فشخصوا اليها] وافتتحت المفاوضات في ٧ تموز (يوليو) . وأعلن سعد موافقته على عقد معاهدة مع بريطانية ، ولكنه لم يسمح لنفسه باتخاذ موقف قاطع من بعض النقاط [التي أصرّ عليها الجانب البريطاني .]

عدلي يكن يفاوض بريطانية

ومضت مدة غير قصيرة أحجمت حكومة لويد جورج ، خلالها ، عن توطيد العزم على استئناف المفاوضات مع مصر على اساس التقرير الذي وضعته بعثة ملنر . والواقع أنها لم تسأل السلطان [فؤاد] تعيين وفد للمفاوضات الا في ٢٢ شباط (فبراير) ، سنة ١٩٢١ . وقد قادت المذاكرات الخاصة بذلك الى تغيير الوزارة ، فتولى رئاسة الحكومة عدلي يكن باشا ؛ ولكن مركزها تقلقل بعد ان صرح سعد زغلول [بحديث له مع احد الصحفيين ان الوزارة والوفد لم يتفقا بعد على شرط العمل المشترك ثم فصّل شروط الوفد] مطالباً ان تُلغي بريطانية الحماية

والرقابة على المطبوعات وحالة الحصار قبل بدء المفاوضات . وفي ٥ نيسان (ابريل) رجع سعد الى مصر فاستقبله أنصاره استقبالاً حماسياً . حتى اذا ألّف عدلي وفداً للمفاوضة اختار أعضاءه جميعاً من بين أنصاره — وهم رجال الارستوقراطية التركية من كبار الموظفين — مستبعداً الوفد المصري ، نشبت الاضطرابات كرة أخرى في ١٠ نوار (مايو) ١٩٢١ في القاهرة والاسكندرية ، حيث استهدفت هذه المرة اليونان والايطاليين على الخصوص . وفي اول تموز (يوليو) سنة ١٩٢١ شخص عدلي باشا على رأس وفده الى لندن تاركاً الميدان لسعد يكمل تدعيم مركزه في البلاد.

فؤاد يتخذ لقب « ملك مصر »

بعد هذه المفاوضات العقيمة مع الحكومة البريطانية رجع عدلي باشا الى القاهرة في ٥ كانون الاول (ديسمبر) ليقدّم استقالة وزارته بعد ثلاثة ايام . ولم يؤانس [عبد الخالق] ثروت باشا في نفسه استعداداً لتأليف وزارة جديدة ، إلا في الحادي عشر من الشهر عينه ، بعد أن اعلنت بريطانية استعدادها لألغاء الحماية والسماح بأنشاء وزارة للشؤون الخارجية . وهنا امر المندوب السامي باعتقال سعد تدعيماً لمركز ثروت ، حتى اذا نشبت الاضطرابات من جديد بسبب من هذا الاعتقال حُمِل سعد ، في ٢٩ كانون الاول (ديسمبر)، الى سيلان ، ومن هناك الى سيشل . ولكن الحكومة لم توطّن النية على إعلان الغاء الحماية والوعد بإلغاء حالة الحصار إلا في ٢٠ شباط (فبراير) سنة ١٩٢٢ بعد ان شرح اللنبي بنفسه في لندن خطورة الموقف وضرورة

معالجته على وجه السرعة. وعندئذ فقط استطاع ثروت ان يؤلف، آخر الامر، وزارتـه ؛ وفي ١٥ آذار (مارس) ١٩٢٢ اتخذ « السلطان » فؤاد لقب « ملك مصر » .

ومهما يكن من شيء ، فقد عجزت هذه التدابير كلها عن وضع حدّ للأزمة . وتصرّم عــام ١٩٢٢ في مفاوضات عقيمة حول الدستور الجديد ؛ وكانت مسألة السودان محور الخلاف الرئيسي . وعلى الرغم من ان جمهرة كبيرة من الموظفين البريطانيين شرعت تترك الخدمة فقد استمرّت محاولات الاعتداء على البريطانيين من غير انقطاع. ولم يستطع يحيى ابراهيم باشا، الذي عُين رئيساً للوزارة في ١٥ آذار (مارس) سنة ١٩٢٣ بعد ان عدّل وزارته مرتين والذي لم يكن ينتمي الى اي حزب من الاحزاب ، نقــول لم يستطع يحيى باشا ان يعلن الدستور الجديد [١٥] الا بعد ان تنازل فؤاد عن حقه في لقب « ملك السودان ». ورغبت بريطانية في ان تكتسب الرأي العام المصري من طريق الافراج عن سعد (الذي كان قد نُقل في ٢٤ آذار « مارس » من سيشل الى جبل طارق)، ولكن من غير ان تسمح له بالعودة الى الوطن . وأياً ما كان ، فلا هـذا التدبير ولا إلغاء الاحكام العرفية أديا الى مـا كان يتوقع لهما من نجاح ، فاضطرت بريطانيـة الى السماح لسعد بالعودة الى مصر في

(١٥) راجع نصه وترجمته في *Mitteilungen des Orientalischen Seminars zu Berlin*, 1924 , II , 1 - 82.

راجع ايضاً : Royal Institute of International Affairs , Information Dept . Paper No . 19 , *great Britain and Egypt* , London , 1936.

وانظر ايضاً : *Current History*, New York, 1927, pp. 532-538.

١٧ أيلول (سبتمبر). وسلك سعد بادىء الامر مسلكاً حذراً تجاه الملك والمندوب السامي ، ولكنه ما لبث أن شن حملة عنيفة على الدستور الجديد . حتى اذا جرت الانتخابات النيابية في كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٢٤ نال سعد اكثرية تبلغ ١٩٠ من ٢١٤ مقعداً ، وهكذا اضطر الملك الى ان يعهد اليه في تأليف الوزارة ، في ٢٧ كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٢٤ .

مفاوضات سعد ـ ماكدونالد

وفي هذا الوقت بالذات ، تقريباً ، كان حزب العمال قد تولى الحكم في بريطانية ، فارتأى زعيمه ، رمزي ماكدونالد * ، ان افضل وسيلة للافصاح عن عطفه على الآمال المصرية في الاستقلال هي اطلاق سراح نحو ١٥٠ معتقلاً سياسياً . وإذ قد وثق سعد من هذا العطف ، فقد بادر الى شنّ حملة سياسية شعواء في السودان ، أدت الى نشوب اضطرابات ، وكم كان استياؤه عظيما عندما اعلنت الوزارة البريطانية في مجلس اللوردات ، (٢٥ حزيران « يونيو ») عزمها الوطيد على عدم التخلي عن السودان أبداً . ولم تستهدف سياسة سعد الداخلية ، بادىء الأمر ، غير إسناد الوظائف الى انصاره ، فكان من نتائج هذه السياسة أن جرت محاولة لاغتياله . وفي ٢٥ تموز (يوليو) لبى دعوة ماكدونالد الى لندن لمفاوضته شخصياً في أمر المعاهدة المزمع عقدها مع بريطانية العظمى . ولكن هذه المفاوضات لم تبدأ الا في ٢٥ ايلول (سبتمبر). ثم انها قطعت في آخر تشرين الاول (اكتوبر) بسبب من اصرار سعد على

* Ramsay Macdonald

ضرورة جلاء البريطانيين جلاء تاماً عن مصر . وما هي إلا فترة قصيرة حتى خلفت وزارة ماكدونالد وزارة من المحافظين .

مصرع السردار لي ستاك

وعبرت الحماسة التي أذكى الوطنيون نارها ضد الاجانب ، عن نفسها في مصرع سردار الجيش المصري وحاكم السودان العام ، السير لي ستاك * . وسعى سعدٌ الى ان يتجنب تنفيذ مطالب بريطانية المعقولة [في مثل هاتيك الظروف] التعويض عن الحادث . وقد اشتملت هذه المطالب شروطاً تعزز اعمال الري في السودان على حساب مصر . واضطر سعد ، في النهاية ، الى ان يرضخ عندما دعم المندوب السامي مطالبه باحتلال جميع الجمارك ، فخلفه في رئاسة الوزارة احمد زيوَر باشا ، في ٢٤ تشرين الثاني (نوفمبر) . وعدّلت بريطانية مطالبها من حكومة زيور ؛ ولكن هذه الحكومة تلكأت في اجابة بريطانية الى مطالبها على الرغم من ان البريطانيين جلوا عن الجمارك في ٢ كانون الاول (ديسمبر). والواقع ان بريطانية لم تصرّ على ان يشغل قائد بريطاني منصب السردار القتيل .

الصراع بين الملك وسعد زغلول

وحسب زيور باشا ان في ميسوره ان يمكن لسلطته بالاعتماد على خصوم الوفد . وكان عدلي باشا قد أسس سنة ١٩٢٢ « حزب الاحرار الدستوريين » ؛ فتولى صدقي باشا ، احد اعضاء هذا الحزب ، وزارة الداخلية وأقصى عن الادارة صنائع الوفد

* Lee Stack

وانصاره . اما الملك فسعى الى تقوية نفوذه من طريق « حزب الاتحاد » ؛ ولكن أياً من الحزبين لم يوفق الى ان يُضعف من قوة الوفد المتشعبة . ودخل سعد البرلمان بعد الانتخابات الجديدة مع عدد ضخم من رجاله حتى لقد انتخب رئيساً للمجلس . وبدلاً من ان يعهد الملك اليه في تشكيل الحكومة ، حلّ البرلمان في ٢٤ آذار (مارس) سنة ١٩٢٤؛ وسرعان ما أفاد من اختلاف الوزراء اختلافاً غير ذي بال في احدى المسائل ليتخلص من الوزراء « الدستوريين » وليحكم البلاد مع رجال حزبه « الاتحاديين » ليس غير . والحقّ ان الملك فؤاداً تخلى بعد ذلك عن ممارسة سلطته ، شيئاً فشيئاً ، لرئيس ديوانه [حسن] نشأت باشا .

ولكن سعداً ما كان ليفكر في التخلي عن نفوذه ، خاصة بعد ان سعى الاحرار الدستوريون المستاءون [من سياسة البلاط] الى التعاون معه . واذ لم تُقدِم الحكومة على دعوة البرلمان الى الانعقاد ، فقد دعا هو بنفسه النواب الى الاجتماع في ٢١ تشرين الثاني (نوفمبر) ؛ حتى اذا وجد الندوة النيابية محتلة انتقل معهم الى « اوتيل كونتيننتال » حيث انتخب، كرة اخرى ، رئيساً. ولم يكن في وسع بريطانية ان تظل مكتوفة اليدين في مثل هذه الحال ، من غير ان تفقد هيبتها في البلاد . فما كان من المندوب السامي الجديد ، اللورد لويد ، الذي تقلد منصبه هذا في ٢١ تشرين الاول (نوفمبر) سنة ١٩٢٥، إلا ان أقنع الملك بأقالة رئيس ديوانه [حسن نشأت باشا] ليُعيّن بعدُ سفيراً لمصر في مدريد .

وأخيراً كان على الملك أن يوافق على إجراء انتخابات جديدة بعد

أن قامت حكومته بمحاولة مخفقة بسبيل تعديل قانون الانتخاب لمصلحتها . وفي ٢٥ نوار (مايو) سنة ١٩٢٦ تكشّفت الانتخابات عن اكثرية سعدية انتزعت ١٤٤ مقعداً من أصل ٢٠١ . وعلى الرغم من أنّ سعداً كان قد اعلن عجزه ، بسبب من سنّه العالية عن تولي الأحكام من جديد ، ورغبته في الاعتزال ليتسنى له النهوض بالمهام الملقاة على عاتقه بوصفه « أبا الوطن » فقد سعى الى ان يشكل هوَ الحكومة في ٢٧ من الشهر نفسه [نوار] . وإذا كانت بريطانية تخشى ، بطبيعة الحال ، تجدّد الاضطرابات فقد طلب اللورد لويد من حكومته ان تبعث بسفينة حربية الى الاسكندرية بعد ان رفض سعد التخلي عن حقه ، وكان اللورد لويد قد وجّه اليه انذاراً ، ولكن انصار سعد حملوه على التنازل عن حقه خشيةَ أن يفقدوا ثمرات نشاطهم السياسي ؛ فعُهِد الى عدلي باشا في تشكيل الحكومة . بيد أنّ القوة التي تمتع بها زغلول ومارسها بواسطة انصاره في جميع انحاء البلاد لم تفقد شيئاً من عظمتها ، على الرغم من انه اضطر إلى ان يمسك عن استعمالها احياناً اجتناباً للاصطدام ببريطانية العظمى . وكان هدف حزبه المباشر العمل على تقوية نفوذه في الجيش المصري . وأبى عدلي باشا ان يتحمل تبعة ذلك فاتخذ من حادثة برلمانية ، ليست هامة في ذاتها ، ذريعةً الى الاستقالة في ١٨ نيسان (ابريل) . وفي هذه المرة ايضاً رأى الوفد أن من الحكمة الاّ يرشح زعيمه لرئاسة الحكومة ، وان يترك مقاليد الأمر لثروت باشا . ومهما يكن من أمر فقد نزلَ وزير الحرب في هذه الحكومة [احمد] خشبة

بك ، عند ضغط الوفد في ما يتصل بتعزيز الجيش ، وعمــل على وضع حدّ لنفوذ المفتش العــام البريطاني ما استطاع الى ذلك سبيلاً . وبعد مفاوضات طويلة مع المقيم البريطـــاني نزل سعد عند المطالب البريطانية التي وافقت عليها الحكومة [المصرية] والتي اثبتت مرة اخرى سلطة المفتش العام ونفوذه .

وفاة سعد : أثره في النهضة المصرية

وفي تموز (يوليو) سنة ١٩٢٧ سافر ثروت الى انكلترة لاستئناف المفاوضة لعقد معاهدة بين البلدين . وعلى الرغم من انــه لم ينتزع من الحكومة البريطانية وعوداً صريحة جازمة ، فقـــد كان في ميسوره ان يؤوب الى وطنه،في شهر آب (أغسطس) ، مُعَلِّلاً النفسَ بأنه قد سوّى مشاكل وطنه التي تعترض سبيله نحو الاستقلال المنشود . ولكنّ مشروع المعاهـــدة — وكان لا يزال مُثقَلاً بالشروط والتحفظات — كان خليقاً بأن لا يقرّه البرلمان إلا بقوّة سعد ونفوذه.غير ان المنية تخطّفت « أبا الوطن » فجاءةً ، في ٢٣ آب(اغسطس) ، فغادر الميدان تاركاً خلفـــه فراغاً في الحياة السياسية المصرية لم يكن من الميسور أن يُملأ بادىء الامر . والواقع ان سعداً هو صاحب الفضل الرئيسي في إيقاظ المصريين — بعد عبودية تطاولت الف سنة في ظل الحـكام الوطنيين والاجانب — وتنبيههم إلى حقّهم في تقرير مصير أمتهم وبلادهم . وقد تكون مقدرته خضَعت لمناحي ضعف لم يكن بدّ منها اذا اعتبرنا عصره وبيئته ، ولكن المصريين يحفظون له اجمل الذكرى وأعمقها اذ وقف حياته — الـــتي لم تكن ، على

التأكيد ، فقيرة بالتضحيات الشخصية – لخدمتهم .

مصطفى النحاس يخلف سعداً

وفي الوقت نفسه استأنف ثروت مفاوضاته بلندن ، في تشرين الاول (اكتوبر) ؛ وفي تشرين الثاني (نوفمبر) ، رجع الى الوطن حاملاً مشروع معاهدة طالبت الحكومة البريطانية بضرورة قبوله من غير ما تعديل . ولكنه اضطر الى الاستقالة في آخر كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٢٨ ، قبل ان يوفق الى عرض المشروع على البرلمان ، لأن مجلسي النواب والشيوخ كانا قد أقرا قانوناً ينزع من الحكومة أيما سلطة قد تستعملها للحد من حق الشعب في عقد الاجتماعات الحرة .

وكان حزب الوفد قد انتهج ، بعد وفاة سعد ، مسلكاً زاخراً بالتطرف . وليس من شك في ان خليفته في زعامة الحزب – مصطفى النحاس باشا الذي عمل سكرتيراً لسعد فترة طويلة من الزمان – لم يكن ليقل عنه طموحاً وصلابة ، ولكنه كان دونه من حيث المواهب السياسية المطلوبة في رجل الدولة . ومهما يكن ، فقد ألقيت على عاتقه الآن تبعة مستقبل مصر ، إذ عهد اليه الملك في ١٥ آذار (مارس) ، بتأليف الوزارة . وعلى الرغم من ان الحكومة البريطانية أحاطته علماً ، في وضوح لا يحتمل اللبس ، انها لا تستطيع ان توافق على قانون الاجتماع الجديد الذي هدد الامن في البلاد ، فقد كان بعدُ قادراً ، بادىء ذي بدء ، على ان يتجنب نتائج ذلك بالاجابة [على الانذار البريطاني] جواباً مسالماً اعلنت بريطانية رضاها به . ولكن

الملك ما لبث ان عمدَ ، في حزيران ، (يونيو) إلى اقالة النحاس باشا ، وتعيين محمد محمود باشا – وكان من اغنى اصحاب الاراضي في مصر – رئيساً للوزراء . ليس هـــذا فحسب ، بل لقد ذهب الملك الى ابعد من ذلك فأمر رئيس وزرائه بحل البرلمان وتأجيل الانتخابات الجديدة ثلاث سنوات .

وفي هذه الفترة التي حكم فيها الملك حكماً مطلقاً ، وُفّق الى ان يسوّي مسألة توزيع مياه النيل بين مصر والسودان تسويةً كانت في صالح بلاده ؛ ولا حاجة الى النصّ على ان مسألة المياه هـذه من المسائل الحيوية بالنسبة الى الديار المصرية . وكان الملك قد شرع يفكّر ايضاً في الحدّ من بعض الامتيازات الاجنبيـــة الاكثر إرهاقـاً ، وبخاصة في توسيع صلاحيات المحاكم المختلطة على حساب القضاء القنصلي .

محمد محمود يفاوض لعقد معاهدة مع بريطانية

ولكن آمال الوفـــد في العودة الى الحكم – وكان لا يزال يتمتع بثقة الفلاحين المطلقة – ما لبثت ان انتعشت في نوار (مايو) سنة ١٩٢٩ عندمـا تولى حزب العمال البريطاني مقاليد الحكم من جديد . والواقع ان اول خطوة قامت بهـا الحكومة البريطانية كانت استدعاء اللورد لويد الذي أُخذ عليه تهاونه في القيـــام بالخطوات الضرورية لتطور البـلاد المصرية نحو الاستقلال . وفي

حزيران (يونيو) شرع محمد محمود باشا يفاوض ، في لندن ، لعقد معاهدة تسوّى بها العلاقات بين البلدين ، ولكن الجانب البريطاني أوضح له ان مثل هذه المعاهدة يجب ان تقترن بتصديق البرلمان المصري . والحق ان الاقتراحات التي نُشرت في كتاب ابيض ، خريف سنة ١٩٢٩ ، لعقد هذه المعاهدة ، ذهبت الى ابعد جداً من الشروط التي وُفّق اليها ثروت باشا ، والتي وصفت قبل بانها غاية مايمكن ان تجيزه الحكومة البريطانية من التساهل. وكان طبيعياً بعد ذلك في ان يتوقّع المصريون النجاح في تحقيق مطالب ابعد بمجرّد إصرارهم على وجهة نظرهم. ومهما يكن من شيء فقد اعلنت بريطانية استعدادها لأن تسحب قواتها من القاهرة والاسكندرية الى منطقة القنال، وان تستدعي جميع الضباط البريطانيين العاملين في الجيش المصري ، وان تتخلى عن كلّ حق لها في الدائرة الاوروبية في وزارة الداخلية المصرية .

الوفد يعود الى الحكم

واذ كان الملك راغباً في تصديق المعاهدة مع بريطانية فقد تعيّن عليه ان يوافق على اجراء انتخابات جديدة ، فنال الوفد — كما كان متوقعاً — اكثرية ساحقة هذه المرة ايضاً ، واضطر الملك الى ان يعهد الى النحاس باشا في تأليف الحكومة . وفي ٣١ آذار (مارس) سنة ١٩٣٠ استأنف رئيس الوفد المفاوضات ، في لندن ، لعقد معاهدة مع بريطانية . ولما كان سَلَفُهُ قد حصل على معظم ما تصبو اليه مصر ، فقد أفرغ همته كلها لحل مسألة السودان . ولكنه أصرّ على ان تكون هجرة المصريين الى

السودان غير محددة منذ اليوم ، وأراد باديء الامر ان لا يعترف بحكم بريطانيـــة ومصر للسودان حكماً ثنائياً الا لمدة عام آخر فحسب . من اجل ذلك اضطر الى ان يعود الى الوطن مجروراً اذيال الخيبة ، وما هي الا فترة قصيرة حتى أقال الملك وزارته . فحلّ محـله في الحكم اسماعيل صدقي باشا زعيم حزب الشعب . والواقع ان صدقي باشا تمكن ، بواسطة قانون للانتخاب جديد ، من إقصاء الوفد عن البرلمان ، واضطلع بمهام الحكم كتابع للملك الى ان اضطر سنة ۱۹۳۳ الى الاستقالة لاسباب صحية . حتى اذا مرض الملك ايضاً تعاظم نفوذ رئيس ديوانه غير المسؤول الى درجة بعيدة اضطرّت رئيس الوزراء الجديد ، يحيى باشا ، الى طلب المساعدة البريطانية ضدّه . عندئذ هبت عاصفة من الاستياء الشعبي طوّحت بالوزارة واضطر الملك الى ان يعهـــد الى خَلَفه ، [محمد توفيق] نسيم باشا ، في وضع قانون الانتخاب الذي الغاه صدقي باشا موضع التنفيذ . وهكذا عاد الوفـــد الى الحكم ، نَزْلةً اخرى .

معاهدة سنة ۱۹۳٦

وبينا كانت السياسة الداخلية المصرية تُنفق طاقتها كلها في صراع حزبيّ كثيراً ما قرّرت مظاهرات الطلاب نتائجه ، رأت مصر وبريطانية الى مصالحهما المشتركة في السودان مهدّدة بالخطر بسبب من مطامع إيطالية في الحبشة . ذلك أنّ تمركز دولة اجنبية قوية في تلك الديار خليقٌ — بمساعدة الاساليب العلمية الحديثة — بأن يهدّد احد روافد النيل الهامّـة ، الذي ينبع من بحيرة تانا .

والواقع ان الاحزاب المصرية لم تكد تدرك هـــذا الخطر الذي تعرض له موردٌ من اهم موارد الثروة الوطنية حتى اجتمعت في جبهة متحدة ابتغاءَ إبلاغ المفاوضات ، التي تعثرت غير مرّة ، الى غاية اخيرة .وفي ١٢ كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٩٣٥ طلب زعماء الاحزاب المتحدة الى المندوب السامي، السير مايلز لامبسون* دعوة الحكومة البريطانية الى استئناف المفاوضات . فما كان من هذه الحكومة إلا ان اعلنت رغبتهـــا في ذلك إذا كان الجانب المصري مستعداً لأن يبحث بادىء ذي بدء المسألتين الأبلغ اهمية : مسألة تنظيم الجيش ، ومسألة السودان . وكان علي ماهر باشا ، الذي انسحب من حزب الاتحاد ، قــد وُفق في الوقت نفسه الى تأليف وزارة حيادية كفَتْ زعماءَ الاحزاب مؤونة الخوف من تقديم الحساب عن نتائج المفاوضات إلى الناخبين . وفي ٢ آذار (مارس) سنة ١٩٣٦ اجتمع الوفد البريطاني المفاوض ، برئاسة مايلز لامبسون ، والوفد المصري المفاوض ، برئاسة النحاس باشا ، في القاهرة ؛ وكان الوفد المصري يتألف من سبعة اعضاء وفديين [عدا النحاس باشا] وستة اعضاء من الاحزاب الأخرى بينهم ثلاثة رؤساء وزارة سابقين: هم [محمد] محمود ، و[اسماعيل] صدقي ، و[ابراهيم] يحيى .وفي ٢٦ آب (اغسطس) وقعت المعاهدة في لندن ، ثم صدّق عليها البرلمان المصري في ١٥ و١٨ تشرين الثاني (نوفمبر)، والبرلمان البريطاني في ٢٤ و٢٥ من الشهر عينه. وقضت هذه المعاهدة بوضع حدٍ للاحتلال البريطاني لمصر نهائياً ، على ان

* Miles Lampson

تحتفظ بريطانية بعشرة آلاف جندي على [ضفتي] قناة السويس (منطقة القنال) للدفاع عنهـــا . وإقراراً بسيادة مصر المطلقة قضت المعاهدة بأن يمثل بريطانية ، منـــذ اليوم ، في القاهرة ، سفيرٌ له حقّ التقدّم على ممثـــلي الدول جميعاً ؛ كما قضت بأن تكفل بريطانية انضمام مصر الى عصبة الأمم. ليس هذا فحسب ، بل لقد عُقدت محالفةٌ بين البلدين وتعهد كلٌّ منهما بأن لا يعقـد مع اية دولة أخرى معاهدات تضر بهذه المحالفة. وفي حال الحرب تعهدت مصر بأن تضع جميـع موارد البلاد تحت تصرف بريطانية ، وان تفرض عند الاقتضاء الأحكام العرفية والرقابةَ على المطبوعات. كذلك تعـيّن على مصر ان تنشيء شبكة خطوطها الحديدية وفقاً لوجهات النظر الستراتيجية التي تراها بريطانية ضرورية . أمـــا ادارة السودان فقـــد أُبقيت في يد حا كم عام تعيّنه بريطانية وتخضع له القوات المصرية أيضا ، من غـــير أن يكون في ذلك مَساسٌ بمسألة السيادة المصرية على السودان . ولقد حُرّرت هجرة المصريين الى السودان من جميـــع القيود إلا اذا حالت أحوال الصحة والامن العام دون ذلك . واخـــيراً أعلنت بريطانية استعدادها لتأييد مصر في الغاء الامتيازات الاجنبية ابتغاء التخلص نهائياً من المحا كم المختلطة . اما مدة المعاهدة فقـد جُعلت عشرين عاماً ، على ان تُرفع جميـع الاختلافات الناشئة بين البلدين ، بعد انقضاء هذه المدة ، الى مجلس عصبة الامم .

انشقاق الوفد ونشوء « الهيئة السعدية »

بهذه المعاهدة تحرّرت مصر آخر الأمر من الحـكم الاجنبي ؛

وعلى الرغم من ان مركزها الدولي ظل مرتبطاً اشدّ ما يكون الارتباط بسياسة بريطانية الخارجية فليس من شك في أن سبيلها الى التطور الداخلي أمسى منذ اليوم رحباً طليقاً . بيد ان هـذا التطور ظلّ مرهوناً بالنزاع الحزبي . والواقع أن الوفد – الذي استطاع زعيمه ، النحاس ، أن يحقّق للشعب المصري استقلاله المنشود منذ وقت طويـــل – مـــا لبث أن غالى في اصطناع ما تمّ له من نفوذ عظيم . فقد عمد الى إنشاء « القمصان الزرقاء » من بين الشباب المنضوين تحت لوائه ، وهو حرسٌ قُصِد به الى تقليد احدى المنظمات المشهورة ، في ذلك العهد ... والحقّ ان رغبـــة النحاس في التفرّد بالرأي ... أدّت آخر الأمر الى أن ينفضّ من حوله نفرٌ من أقدم أعوان سعد ، بقيادة الدكتور احمد ماهر – أخي علي ماهر باشا – والنقراشي باشا ؛ وقد انشأ هؤلاء حزبـــاً جديداً تسمّى بـ « الهيئة السعدية » (نسبة الى سعد زغلول) .

وفي ٢٨ نيسان (ابريـــل) سنة ١٩٣٦ توفي الملك فؤاد ؛ وكان ابنه [الأمير] فاروق ، المولود في ١١شباط (فبراير) سنة ١٩٢٠ ، يتلقى دروسه في الكلية الحربية البريطانية في وولتش* وقد تولى شؤون البلاد ، خلال السنة الاخيرة التي سبقت بلوغه سنّ الرشد ، مجلس وصاية ، حتى اذا انتهى شهر تموز (يوليو) سنة ١٩٣٧ ، وتولى الملك فاروق سلطاته الدستورية ، ادرك في الحال ضعفَ الوفد الذي حقّق مهمته التاريخية بما ضمن لمصر من

* Woolich

استقلال ... وفي ٣٠ كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٩٣٧ أقال الملك رئيس الوزراء ، النحاس باشا ، داعياً محمد محمود باشا — رجل الدولة المحنك — الى تأليف الحكومة . وفي ٢ شباط (فبراير) ١٩٣٨ حل البرلمان أيضاً ، وكان الوفد ممثلا فيه بمئة وسبعين عضواً يؤلفون اكثرية بلغت اربعة اخماس المجموع . حتى اذا جرت الانتخابات الجديدة في آذار (مارس) ونيسان(ابريل) سنة ١٩٣٨ رجع منهم الى المجلس ثلاثة عشر فقط ، لم يكن فيهم زعيمهم النحاس وأبرز أعوانه . وسعى « حزب مصر الفتاة » بزعامة احمد حسين المحامي إلى ان يجمع شمل الشباب المصري ، من اوساط الطبقة المتوسطة بخاصة ، ... وأن يلهب حماستهم في سبيل حركة وطنية مغالية موجهة ضد الاجانب . وقد عارض هذا الحزب « قمصان الوفد الزرقاء » بمنظمة « القمصان الخضراء » التي حلت قبيل نشوب الحرب سنة ١٩٣٩ .[١٦] وقد ابدت الحكومة الجديدة رغبتها في رفع مستوى الحياة لأبناء الشعب جميعاً ، وفي تحسين حال الفلاح ، قبل كل شيء ، بتخفيض الضريبة على الأراضي وبناء منشآت الري ، كما اعلنت رغبتها في حماية الصناعة الوطنية بضرائب جمركية تفرضها على المنسوجات القطنية التي كانت اليابان — بالاضافة الى بريطانية — قد اغرقت بها الاسواق المصرية . ومهما يكن من أمر فقد واصلت العمل على

---

(١٦) للاطلاع على برنامج هذا الحزب انظر : B. Spuler in the *Orientnachrichten* ,IV , 18 (of Sept. 16, 1938 , p. 281)
وانظر ايضاً A. Fischer , *Die politischen Parteien Agyptens* in *Forschungen und Fortschritte*, 1938, pp.279 - 281.

التخلص من « الوصاية » البريطانية ، فضاعفت - كدليل على ذلك - عدد افراد الجيش المصري ليبلغ اربعين الف مقاتل. وليس من شك في ان زعامة مصر في الحقول الثقافية وفي الدوائر الاسلامية - تلك الزعامة المعترف بها منذ عهد طويل - خليقة بأن تنمو تبعاً لتعاظم سلطانها السياسي لتحقق، آخر الأمر، أيضاً هدفاً ما فتئت ترنو اليه من زمن بعيد : أعني التحرر من وصاية أوروبة العقلية .

شبه جزيرة العرب

●

الشريف حسين ـ آل سعود وآل رشيد

كانت شبه جزيرة العرب ـ المنتظمة اسمياً في الامبراطورية العثمانية ـ قد تجزأت عند نشوب الحرب العالميـــة الاولى الى دويلات عديدة . كان الحجاز ، وعاصمته مكة ، خاضعاً لحكم الشريف حسين بن علي بن عون ، من البيت الهاشمي ، الذي كان يقيم في استانبول منذ عام ١٨٩٣ « ضيفاً » على السلطان عبدالحميد ، والذي مكنه رجال تركية الفتاة ، سنة ١٩٠٨ ، من استعـادة تراث أسلافه ، آل الرسول . أما نجد فكان موزعـاً بين إمارة شمّر ـ واصحابها آل رشيد ،وعاصمتها حايل ـ وبين الوهابيين ، وعاصمتهم الرياض . ونحب ان نجتزىء هنا ، من تاريخ آل رشيد الحافل ـ كتواريخ الأسر العربية الحاكمة ، في العادة ـ بالمنازعات العائلية ، نقول نحب ان نجتزىء من ذلك كله بالنص على أن اعظم رجال هذه الاسرة ، محمد بن عبد الله بن رشيد (١٨٧٢ ـ ١٨٩٧) وفّق بمساعـدة الاتراك الى ان يقضي على سلطة آل سعود ، وهم الأسرة الأعرق في الرياض . وأياً ما كان ، ففي عهد ابن اخيـــه

وخليفته عبد العزيز بن مُتعَب استطاع عبد العزيز بن عبدالرحمن ابن سَعود – الذي كان قد التجأ الى حمى الشيخ مبارك صاحب الكويت الخاضعة لبريطانية – ان يسترد بمساعدة هذا الاخير حاضرة أسرته ، الرياض ، سنة ١٩٠٢ . حتى اذا توفي عبد العزيز ابن متعب سنة ١٩٠٦ خلفه ابنه سَعود ، بعد منازعات متطاولة . ولكن بينا كانت روح الوهابية القديمة قد انطفأت ، او كادت ، في إمارة ابن رشيد هذا ، وُفق عبد العزيز بن سَعود الى بعث هذه الروح من طريق تأسيس جماعة « الأخوان » ، سنة ١٩١٠ . والحق انه فرض على اتباعه هؤلاء التقيد التام بقواعد الشرع الاسلامي . وكما دربّت الطريقة السنوسية اعضاءها على حياة العمل المنتج بأكثر مما دربّتهم على حياة التأمل الصوفي * كذلك أسكنَ ابن سعود « إخوانه » – الذين كانوا يؤلفون آنذاك جيشه النظامي – في مستعمرات زراعية في اجزاء من نجد خصبة نسبياً مُحدِثاً بذلك ، في وسط الحياة البدوية ، المراكز الأولى للتنظيم السياسي . وفي سنة ١٩١٣ أفاد من ضعف الامبراطورية العثمانية ، المنهمكة في حرب البلقان ، فاستولى بالاتفاق مع حكومة الهند البريطانية ، على مقاطعة الأحساء المحاذية لممتلكاته ، من جهة الشرق ، والخاضعة حتى ذلك الحين لسلطة [والي] بغداد [العثماني] . وهكذا انتهى الى ان يملك منفذاً الى البحر . وبدلاً من ان تعاقبه الدولة العثمانية على هذا الصنيع ، سعت لاكتسابه الى جانبها فسمّته والياً على نجد من غير ان تفرض عليه أيما التزام .

---

* واجع الجزء الرابع ص ١٤٥ .

اما منطقة عسير الجبلية الواقعة جنوبيّ الحجاز ، والتي حاول محمد علي إخضاعها على غير طائل فكانت مستقلة استقلالاً تاماً ، رغم بقائها ، اسمياً ، جزءاً من الامبراطورية العثمانية . وفي اواخر القرن الثامن عشر استقرّ في تلك الديار احمد الادريسي ، وهو علويّ من الفرع المراكشي، بعد ان ادّى فريضة الحج الى مكة. وسرعان ما نظر اليه سكان المنطقة — وهم على مستوى ثقافي وضيع — نظرتهم الى وليّ او قدّيس، بما ضمن لخلفائه شبه سلطة سياسية . والواقع ان احد هؤلاء ، السيد محمد الذي تلقى علومه في الجامعة الأزهرية بالقاهرة ثم عاش فترةً مع السنوسية في كُفْرَة من اعمال بَرقة ، جمع شملَ أتباعه في الاراضي الجبلية ونظّمهم تنظيماً اكثر صرامةً . وفي سنة ١٩٠٩ أبى الخضوع للاتراك — وكان آنذاك في الخامسة والثلاثين — فهُزم هو وحليفهُ الأمام يحيى إمام الزيدية ، ولكنه وُفق — شأن حليفه ايضاً — الى ان يحرّر نفسه [من العثمانيين] آخر الأمر بمساعدة الايطاليين .

الصراع بين الامام يحيى والاتراك

وفي اليمن المجاورة لعسير، وفقت السلالة الزيدية الى التمكين لنفسها في البلاد على الرغم من ان الاتراك ما انفكوا يحاولون ، منذ سنة ١٨٥٠ ، إخضاع الديار اليمنية . وبعد أن ادركت حكومة عبد الحميد ، خلالَ المعارك الضارية التي خاضتها هناك سنة ١٩٠٤ - ١٩٠٥ ، أن هذه الولاية النائية لا يمكن الاحتفاظ بها بالقوة ، اعلنت استعدادها لأن تُطلق يد الأمام يحيى في حكم

الاقسام الداخلية الجبلية منها . بيد ان رجال تركية الفتاة رأوا في هـــذا التخلي إهانةً للشرف الوطني ، فاستأنفوا الصراع حتى اضطروا في تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩١١ الى توقيع معاهدة صلح ، مع الامام ، بالشروط نفسها .

وفي المناطق الساحلية الممتدة على شواطىء المحيط الهندي والخليج الفارسي ، من حَضْرَمَوت الى عُمانَ ومن هناك الى الكويت ، كان يُقيم عددٌ من الحكام الثانويين العرب الذين دعوا أنفسهم سلاطين أو شيوخاً ، والذين خضعوا جميعاً خضوعاً مباشراً حيناً وغير مباشر حيناً لبريطانية العظمى التي مكّنت لنفسها في عَدَن ، منذ سنة ١٨٣٩ ، والتي كانت مَعْنيّة الى ابعد الحدود بسلامة طرقها البحرية الى الهند ، حتى في الخليج الفارسي .

المراسلات بين الشريف وماكماهون ، واتفاقية سايكس بيكو

وكان الشريف حسين – الذي ادرك خلال اقامته الاجبارية في استانبول ما كانت عليه الدولة العثمانية من ضعف – قد سعى منذ ربيع ١٩١٤ الى الاتصال بالبريطانيين في مصر ، بواسطة ابنه عبد الله ، رجاءَ ان يساعدوه على الاستقلال عن دولة الخلافة . فلمـــا دخلت تركية الحرب أعلن استعداده لأنْ يُصمّ اذنيه دون دعوة « شيخ الاسلام » الى الاشتراك في الجهاد أو الحرب المقدسة . ولكن بريطانية كانت تطمع في ان تستدرجه الى المشاركة الفعلية في الحرب ضد الاتراك بعد أن اخفقت في محاولتها حملَ عبد العزيز بن سعود على مثل ذلك . وهكذا شرعت توزّع ، بواسطة الطائرات والسفن الحربية ، نشرات الدعاية على الأهلين ،

داعمة حملتها هذه بمنع استيراد القمح المصري الذي كان الحجازيون في أمس الحاجة اليه . وفي تموز (يوليو) سنة ١٩١٥ انتهى الشريف حسين الى ان يكون مستعداً ، شخصياً ، للدخول في مفاوضات مع المندوب السامي البريطاني في مصر [السير هنري] ماكماهون . وفي مذكرة بعث بها إلى ماكماهون في ١٥ تموز (يوليو) تكلم الشريف باسم الامة العربية وعرض على بريطانية مساعدة العرب لها اذا ما وعدتهم بالاستقلال في كامل الرقعة الممتدة من مرسين الى اطنه في الشمال الغربي حتى الحدود الفارسية [في الشرق] والمحيط الهندي [في الجنوب] ، وإذا اعلنت موافقتها على إنشاء خلافة عربية . ولقد اجاب ماكماهون على هذه المذكرة ، في ٣٠ آب (اغسطس) ، مؤكداً أن بريطانية لا تعارض في انتقال الخلافة الى رجل يتحدر من سلالة الرسول ولكنها ترى أن الوقت لم يحن بعد لتعيين الحدود النهائية لدولة عربية مستقلة لا سيما وان كثيراً من العرب لا يزالون يحاربون في صفوف الاتراك . وعلى الرغم من أن مراسلات [١٧] الشريف

---

(١٧) هذه المراسلات التي اقتبس ايرلند Ireland بعضها في كتابه (*Iraq*, pp. 68 - 69) من المحفوظات البريطانية دون غيرها انما نشرت اول ما نشرت كاملة في كتاب « يقظة العرب » ***The Arab Awakening*** لجورج انطونيوس (لندن ، ١٩٣٨ ص ٤١٣ ـ ٤٢٧) وفي كتاب أبيض نشرته الحكومة البريطانية ، في اوائل آذار (مارس) سنة ١٩٣٩ ، اثناء انعقاد مؤتمر فلسطين في لندن . وحتى في المذكرة الأخيرة المؤرخة في ٣٠ كانون الثاني (يناير) سنة ١٩١٦ يكتفي ماكماهون بمجرد اعلان استعداده لدرس

حسين – ما كماهون تطاولت حتى نهاية كانون الثاني (يناير) سنة ١٩١٦ من غير أن يحصل الشريف علـى أيمّا وعد قاطـع (وإنما ارجأ ما كماهون التقيد بمثل هذا الوعد مراعاة للمصالح الفرنسية) على الرغم من ذلك فقد تعهد الشريف بان يحرّض القبائل الخاضعة له والقبائـل الموالية أيضاً ، على ان تخوض الحرب ضد الاتراك كما تعهـد بأن يشارك هو في هذه الحرب بقواته الخاصة .

والواقع ان ابنه فيصلاً اجترأ على اقتحام عرين الاسد إذ أقام في دمشق ، ابتداء من كانون الثاني (يناير) سنة ١٩١٥ ، ضيفاً على القائد التركي [احمد] جمال الدين [جمال باشا] ، حيث أفاد من صلاته السابقة بجمعية الضباط العرب ، « العهد العربي »، وزملائهم في التآمر على الدولة العثمانية ، اعني اعضاء جمعية « الفتاة » المدنيين ، بسبيل التحريض عـلى خلع النير العثماني . ولكن الشريف حسين حُرم ثمرات النصر الموعودة ، حتى قبل ان يوفق الى الخروج على سيده السلطان العثماني ، بحكم الاتفـاق الذي عقد في بطرسبرج ،

مسألة ولاية بغداد بعد النصر النهائي ، وارتياحـه لاعتراف الشريف حسين بالتزامات بريطانية تجاه فرنسة . و. ت. ا. لورنس ايضاً لا يشير في كتابـه الأخير « اعمدة الحكمة السبعة » (لندن ، ١٩٣٥ ص ٦٦ وما بعدهـا) الى أيما وعود أخرى ارتبط بها ما كماهون . وليس عجيباً أن تكون بريطانية قد ارتأت ، فيما بعد ، أن تذكر هذه الالتزامات بالنسبة الى فرنسة . ونحن نشك في ما اذا كان النص المنشور في مجـلة المنار العربية ، مجلد ٢٥ ، العدد ١ (القاهرة ١٩٢٤) والترجمة الألمانية المبنية على اساسه في *Mitteilungen des orient. Seminars zu Berlin*, II , 130 - 131 , يمكن ان يعتبر معاهدة مصدقاً عليها . انظر ايضـاً : W. Ireland, *Iraq*, p. 177, n. 4.

نوار (مايو) ١٩١٦ بين وزير الخارجية الروسي ، سازونوف ، *
والخبير البريطاني في الشؤون الشرقية مارك سايكس ** ، والقنصل
الفرنسي العام السابق في بيروت ، ف. [جورج] بيكو ، ***
والذي رسم الخطة لاقتسام الامبراطورية العثمانيـة في المستقبل .
والواقع ان اتفاقية سايكس - بيكو هذه ، التي لم تطبق الا على
الولايات العربية ، بعد خروج الروسيا من التحالف الثـــلاثي ،
نصت على ان تقام في فلسطين إدارة دولية ، وعلى ان يكون
الجزء الساحلي الواقع الى الشمال حتى خط يمتد على محاذاة دمشق
وحمص وحلب منطقة نفوذ فرنسي ، كما نصت عـــلى ان يكون
العراق من نصيب بريطانية ، في حـين تنشأ دولة عربية مستقلة
او اتحاد عربي مستقل في الاراضي السورية الداخلية الواقعـــة
ضمن هاتين المنطقتين وفي ولاية الموصل ليس غير .

الثورة العربية

ومهما يكن من أمر فان الحرب الضارية في سبيل الاستيـلاء
على الدردنيل ، والحرب في العراق ، حيث نزلت ببريطانية اول
الامر خسائر جسيمة ، لم تساعدا بادىء الرأي على وضع المفاوضات
التي كانت تدور مع الشريف حسين موضع التنفيذ .

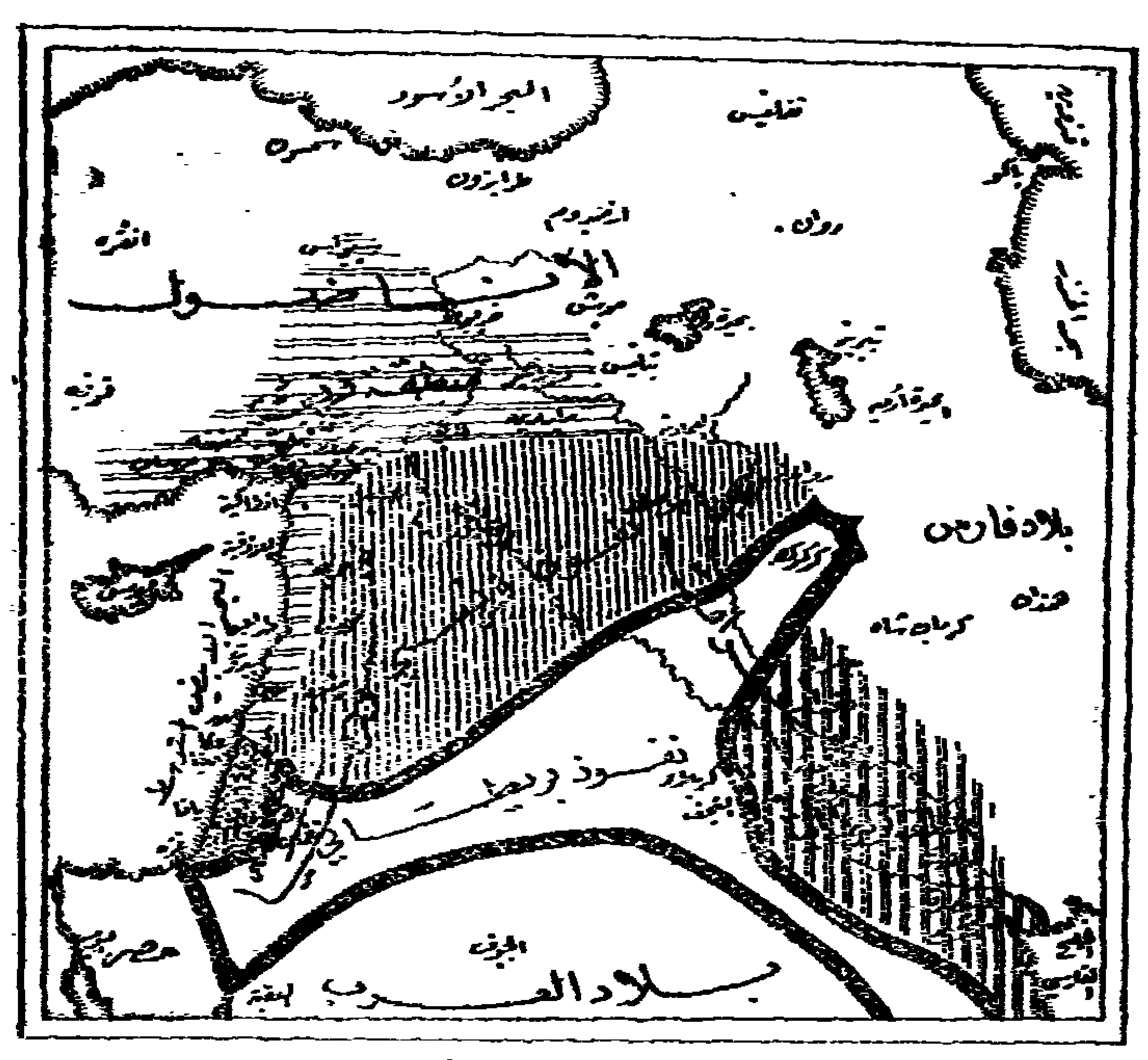
حتى اذا جرى الجـلاء عن غاليبولي بدا من المستحسن دعوة

---

* Sazonov

** Mark Sykes

*** F. G. Picot



اتفاقية سايكس ــ بيكو

قوات الحجاز الى العمل ، وكان الجنرال موري * قائد الجيوش العاملة في مصر لا يتوقع منها ، بادىء الأمر ، خيراً كثيراً. وكان فيصل قد قفل في هذه الاثناء الى بلاده ، فهو يهدد المدينة (يثرب) التي ما برح الأتراك يحتلونها ، بجيش من أعراب جبل صُبْح ؛ في حين كان عزيز علي المصري - العربي الجركسي الاصل، والأميرالاي السابق في الجيش التركي - يعمل عــلى تدريب المتطوعين من سورية والعراق في واحة رابغ الواقعة في نقطة أبعد الى الجنوب. ولأدارة هذه الحركة العربية وجه المكتب العربي في القــاهرة

* Mur ay

ت . إ . لورنس ، الى الحجاز ، وقد اشتهر لورنس هذا في مابعد بما وضع من كتب ذات صدى أدبي بالغ ، روى فيها مغامراته[١٨] وكاد يصبح بطلاً قومياً عند الشباب البريطاني . وادرك لورنس ، في الحال ، ان فيصلاً – اكثر ابناء الحسين إقداماً – يحتل موقعاً هو اصلح ما يكون للنضال ضد الاتراك ، فالتحق به ؛ ولكنه لم يكد يبلغه حتى اضطر الى التراجع في وجه الأتراك والانسحاب الى ثغر يَنْبُع . وعزم فيصل ، عملاً باقتراح لورنس ، على ان يحشد قواته في موقع ابعد الى الشمال ، قرب الوَجْه ليكون في ميسوره ، من ثم ، مهاجمة الخط الحديدي الحجازي في سهولة بالغة . وبينا كان موري يرجو أن يرى القوات التركية تُباد وهي تتراجع من الوجه ، كان لورنس يطمع في الاستيلاء على نقطة اعتماد شمالية أبعد . وفي حين ظل فيصل في الوجه ، وُفق لورنس الى ان يشن على ثغر العقبة هجوماً مفاجئاً ، فيحتله في ٥ تموز (يوليو) سنة ١٩١٧ بمساعدة [الشريف ناصر] ومن هناك كان يطمع في ان ييسر لألنبي الزحف للتقدم الى شبه جزيرة سيناء وفلسطين وفي ان يحمي له ميمنة جيوشه . حتى اذا اضطر اللنبي الى نقل قواته الى الفلاندرز بعد الاستيلاء على القدس ارجأ لورنس زحفه وانقلب الى فيصل ليُعدّ العدّة للهجوم على المدينة (يثرب) وبذلك يحوّل القوات التركية عن الجبهة الفلسطينية جهد الطاقة . وبعد ان قُطع الخط الحديدي الحجازي في ثلاث

---

(١٨) منها : *Revolt in the Desert*, London, 1927; *Seven Pillars of Wisdom*, London, 1935.

نقاط ، شنّ النبي هجوماً مفاجئاً على الاتراك ، في فلسطين ، وطردهم عبرَ الأردنّ . عندئذ زحف لورنس [وفيصل] شمالا ، فوّفقا الى دخول دمشق في ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩١٨، بقواتها التي أمدت بفرقة من الاوستراليين .

بريطانية تخذل الحسين وابن سعود يستولي على الحجاز

وبينا كان فيصل وعبد الله يقاتلان الاتراك في الميدان كان ابوهما ، الحسين ، منهمكاً في توطيد سلطانه في الحجاز . من اجل ذلك أوحى الى اشراف مكة بالمناداة به «ملكَ العرب» (٢٩ تشرين الاول « اكتوبر » سنة ١٩١٦) [١٩] وَقبِلَ منهم البيعة في ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) جرياً على العادة القديمة . وانما قصد بذلك الى ان يؤكد ، من اول الطريق ، الحقوق المنصوص عليها في المعاهدة التي حسِبَ انه عقدها مع ماكماهون . ولكنه سرعان ما أُصيب بخيبة امل مريرة، إذ لم تعترف به بريطانية وفرنسة وايطالية إلا بوصفه ملكاً على الحجاز ، وذلك في مذكرة مشتركة قدّمتها إليه في ٣ كانون الثاني (يناير) . ولقد كانت هذه البادرة كافيةً لأن تُظهر له انه غالى في تقدير قوّته الفعلية بأحلام رومانتيكية عن عظمة بيته [الهاشمي] ، كما اخطأ في تقدير مركزه في شبه جزيرة العرب. والواقع أن عبد العزيز بن سعود، كان قد انتهى، في هذه الاثناء كما سنرى بعد قليل ، الى ان يبسط سلطانه على

(١٩) ذكر ستروثمان Strothmann في *Islam* XVII , 38, اعتماداً على توينبي Toynbee ان المناداة بالحسين ملكاً على العرب لم تتم الا بعد فتح دمشق في تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩١٨ . والواقع ان هذا يتناقض مع ما جاء في المصادر الاخرى . انظر E. Topf, p. 23, و Antonius, p. 213

نجد . فلم يكن في مكنته ان يُقرّ بدعوى الحسين السيادةَ على بلاد العرب ؛ وليس من شك في انــــه لم يكن في حاجة الى ان يحرّضه خالد بن لُؤَيّ ، ابنُ عمّ الحسين وعدوُّه ، على مهاجمـــة قوّات هذا الاخير . وفي ١٩ نوار (مايو) ١٩١٩ انتصر انتصاراً حاسماً ، في تَرَبَة (تُرَبَة) قرب الطائف، على قائد هذه القوات الامير عبد الله [بن الحسين] . وبدلاً من أن يعمد الحسين الى غسل هذا العار، الذي انزل بنفوذه في شبه الجزيرة ضربةً قاسية، وجّه اهتمامه الكامل نحو مؤتمر السلام في باريس — وكان لا يزال يأمل في ان يقر ذلك المؤتمر مطالبه . حتى اذا خاب أمله في المؤتمر أشدّ ما تكون الخيبة أبى أن يعترف بمعاهدتي فرساي وسيفر ، ولكن رفضه هذا لم يَعدْ عليه بغير نتيجة واحدة :هي عدم دعوته الى الاشتراك في مؤتمر لوزان . وبعـد ان انتهى ساسة بريطانية ورجالها العسكريون ، في مؤتمر عقدوه بالقاهرة ، آذار (مارس) سنة ١٩٢١، من وضع القواعد العامة لمعالجة المسألة العربية، أُرسل ت. إ. لورنس الى ثغر جُدّة في آخر آب (أغسطس) لعقد معاهدة مع الحسين . والواقع ان بريطانية كانت تريده عـــلى الاعتراف بالانتداب الذي فُرض في تلك الاثناء على كل من سورية والعراق، في سان ريمو ، وذلك مقابل ما قدمته حتى ذلك الحين من معونة مالية متصلة ، ومقابل الوعد بحمايته من كل هجوم قـــد يُشنّ عليـه في الحجاز . ولم يكن في وسع الحسين ان يرضى بذلك ، على الرغم من انـــه ما كان يتوقع ان يحصل بعد اليوم على عروض اخرى . وهكذا تطاولت المفـــاوضات حتى صيف

سنة ١٩٢٤ ، لتخفق آخر الامر بسبب من رفضه الاعـــتراف بالانتداب على فلسطين بعد ان كان قـد ارتضى بالوضع في سورية والعراق . ونستطيع ان ندرك الى أيّ حد كان الحسين لا يزال يخطيء في تقدير مركزه اذا علمنا انه نزل ، نصف كارهٍ ، عند رغبة ابنه عبدالله الذي كان البريطانيون قد نصّبوه في اثناء ذلك اميراً على شرقي الاردن ، فارتضى خلال زيارة قام بها الى مقر ابنه هذا في الشّونة لقبَ الخليفة ، وكان منصب الخلافة قـد خلا [بنفي آخر الخلفاء العثمانيين عبد المجيد الثاني والغـاء منصب الخلافة على ايدي الكماليين] . ولكنه لم يوفق الى ان ينتزع اعتراف السوريين انفسهم بخلافته هـذه ، بله الهنود المسلمين الذين لم يغفروا له يوماً خروجه عن طاعة السلطان العثماني . ومهما يكن من أمر فقد كانت مكانته في العالم الاسلامي آخذة في التضاؤل بسببٍ من تقاعسه عن وضع حدّ لاستغلال الحاجّ الى مكة — وهو استغلال يرقى الى عهود سابقة جداً ، على كل حال — وبسبب من إحجامه عن تحسين الادارة في البلاد . والواقع ان ادعاءه الخلافة اعطى عبد العزيز ابن سعود ذريعـــةً لحربه كمبتدع * ، حتى اذا تطلع الحسين الى البريطانيين يلتمس منهم المساعدة عليه اكتفوا بالتخلي عنه لصالح القوة الجديدة الناهضة في شبه الجزيرة . وفي الاسبوع الاخير من آب (أغسطس) سنة ١٩٢٤ زحف الوهـــابيون الى الطائف فأخربوهـــا واعملوا السيف في رؤوس سكانها . عندئذ التمس اهل مكة من الحسين أن يتنـــازل عن العرش ، فحوّل

* heretic

السلطة الى عليّ ، اكبر ابنائـــه ، وفرّ الى العقبة . ولكن ابن سعود تابع زحفه في غــير ما تردّد ؛ وفي ١٣ تشرين الاول (اكتوبر) احتل نائبـــه في القيادة ، الشريف خالد بن لؤيّ ، مكة . أما هو نفسه فلم يدخل المدينة المقدّسة إلاّ في ٥ كانون الاول (ديسمبر) ، بعد أن هدّأ من روع اهل السنّة الذين كانوا يخشون ان تُمثل، كرةً أخرى، تلك الفظائع التي رافقت استيلاء الوهابيين الأول على مكة . وأقام [الملك] عليّ في جُدّة حتى كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٩٢٥ ثمّ لاذ بأخيـه [الملك] فيصل في العراق . وهكذا أعلن ابن سعود نفسه ملكـــاً على الحجاز في ٨ كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٢٦. وإذ كان ابن سعود يطالب بالعقبة ايضاً فقد اخرج البريطانيون [الملك] حسين منها وسمحوا له بالالتجاء الى قبرس . وفي أواخر سنة ١٩٣٠ أُجيز له ان يحلّ ضيفاً على ابنه في عمان ،[عاصمة] شرقي الأردن، حيث توفي في حزيران (يونيو) سنة ١٩٣١ فدُفِنَ في بيت المقدس . والحق أن أقدار البيت الهاشمي تجلت وانتهت في شخصه كرةً أخرى : فقد غفلَ آخر الأمر ، في غمرة من اعتقاده بحقه الالهي ، (شأنَ كثيرٍ من اجداده العلويين) عن كلّ اعتبار لظروف هذا العالم واحواله فذهب ضحيةَ هذا الاعتقاد .

عبد العزيز يتوج ملكاً على نجد والحجاز

لما اندلعت نيران الحرب العالمية الاولى كان أمير الوهابيين ، عبد العزيز بن سعود ،لا يزال منهمكاً الى أبعـد الحدود في تنظيم

(٦)

إمارته تنظيماً داخلياً ؛ من اجل ذلك لم يرغب في تعريضها للخطر من طريق الوفاء الدقيق لالتزاماته كوالٍ تركيّ . وإذ كانت توجيهات شكسبير ، قنصل بريطانية في الكويت ، ذات أثرٍ في نفسه ، فقد ناصر الاتراكُ سعوداً الرشيدي عليه ، خاصة بعد أن قُتِل زامِل [السَّبهان] وكان وصياً على سعود هذا بيد ابن عمه الطموح سعود [بن سبهان] . وإذ كان الاتراك يُمدون هذا الأخيرَ بالذهب والسلاح فقد نجح شكسبير آخر الأمر في دفع الوهابيين الى القتال . وفي كانون الثاني (يناير) سنة ١٩١٥ جرت بين الفريقين معركة عند جراب . وكان ابن سعود مقتنعاً بأن النصر قد تمّ له بفضل خيّالته المتفوقة ، عندما أخذَ مشاته على حين غرّة اثنـــاء تقدّمهم في طريق أخرى . عندئذ انقضّ أعراب قبيلة العجمان ، الذين سبق له ان حرمهم مراعيَهم في الأحساء ، على معسكره فانتهبوه ، فحقّت على ابن سعود الهزيمة ، ذلك اليوم . وقد صُرِع في هـــذه المعركة شكسبير ، الذي لم ينسَ أن يُطلق على العدو نيران المدفع الأوحد الذي كان يملكه ابن سعود في تلك الأيام. ومن ذلك الحين سلك ابن سعود طريق الحذر والتريث ، خاصةً بعد أن صارت حكومة الهند البريطانية لا تُبدي اهتماماً كبيراً بميدان الحرب العربي إثر الاخفاق الأوّلي الذي مُنيت به في العراق . وكانت المهمة المنوطة بها من الحرب ضد تركية قد أُلقيت ، اثناء ذلك ، على عاتق الشريف حسين كما قد رأينا . ولكن حكومة الهند البريطانية رأت ان من واجبها أن تضمن مساعدة ابن سعود لكي تنجح في ميدان الحرب العراقيّ ؛

فأوسلت سنجن فيلبي * إلى الرياض . ومرعان ما اكتسب ثقة الامير التامة . وكانت محاولة الحسين للتوغل في نجد قــد أحبطت على يد ابن سعود في معركة تَرَبَة (تُرَبَة) ، بيد أنه تعيّن عليه ، قبل الانصراف الى تصفية حسابه مع الحسين ، أن يقضي اولاً على آل رشيد الذين كانوا يتهدّدونه من وراء . وفي حايل كان الأمير سعود قد قُتل في ربيع سنة ١٩٢٠ . فاتخـــذ ابن سعود من هذا الحادث ذريعة الى الهجوم على عبدالله بن متعب ، خَلَف الأمير القتيل . وبعـــد أن هُزِم عبدالله في نيسان (ابريل) سنة ١٩٢١ قام مقامه محمد بن طلال فدافع عن العاصمة حتى تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٢١ . حتى إذا سَقطت وُفّق ابن سعود الى ان يفرض سلطان بيته ، كرةً اخرى ، على بلاد نجد كلها . أما توسّعه في اتجاه الشمال فقد حُـــدّ بقيام دولتي سورية والعراق الخاضعتين حديثاً للانتداب . ومهما كان ، فقد وُفّق - بسببٍ من أن حدود الدولتين لم تكن قد عيّنت بعد - الى أن يتقدّم في اتجاه الغرب عبر وادي السّـرحان وفي اتجاه الشرق عبر وادي الرّمة . ولكنّ إقدام الحسين ، من غير ما تبصّر في العواقب ، على ادعاء الخلافة اعطى ابنَ سعود ذريعـةً - بل أعطاه الحقّ ، في نظر المؤمنين - إلى إخراجه من عاصمة ملكه وبَسطِ السلطان الوهابيّ على الحجاز . ولكي يهدىء ابن سعود من المخاوف التي اثارها في العالم الاسلامي استيلاؤه على الديار المقدّسة - وكان المسلمون ينظرون اليه نظرتهم الى مُبتدع -

---

* St. John Philby

فقد دعا الى عقد مؤتمر إسلامي عام في مكة ، في حزيران (يونيو) سنة ١٩٢٦ ، بعد ان درس مؤتمر القاهرة الاسلامي مسألة الخلافة، في شهر نوار (مايو) ، من غير ان ينتهي الى اتفاق ما . واذ كان عدد المندوبين الوافدين الى شبه الجزيرة كبيراً ، بحكم الطبع ، واذ قد عوّض اقبـــال الوفود من الروسيا وافغانستان وجاوه والسودان عن غيبة وفود افريقية الشمالية، فقد انتظم مؤتمر مكة ضعفَ عدد الوفود المشتركة في مؤتمر القاهرة (٦٠ مقابل ٣٠) . والواقع ان سياسة الوهابيين الحصيفة قد ساعدت على نجاح المؤتمر في منح الفِرق الدينية المختلفة حقوقاً متساوية في الكعبة والحرم، ومن ثم في ضمان حرية الحاج من جميع اطراف العـالم الاسلامي على الرغم من ان المؤتمرات الدورية التي وعد المؤتمر بعقدهـــا والتبرعات التي أقرّ المؤتمر فرضها وجمعها لتلك الغاية لم تثمر البتة[٢٠]. وفي سنة [١٩٢٧] نودِي بابن سعود ، في مكة ، ملكاً على نجد والحجاز .

النزاع بين ابن سعود والامام يحيى

والحق ان سياسة ابن سعود الخارجية انما قُررت بادىء الامر على ضوء علاقاته بجيرانه في الجنوب . ففي عسير كان الخلاف قد نشب بين وارثي السيد محمد [الكبير] المتوفى سنة ١٩٢٣ ، فـ كان من الامام يحيى [حميد الدين] الزيدي الا أن افاد من هذ

---

(٢٠) انظر آشيل سكالي Achille Sekaly, *Le Congrès du Khalifat et le Congrès du Monde Musulman*, Paris, 1926 Collection de la *Revue du monde musulman*).

الوضع فاحتل المنطقة الساحلية، وفيها ثغر الحُدَيْدَة الهام ، الذي كان البريطانيون قد جلوا عنه في ٣١ كانون الاول (يناير) سنة ١٩٢١. عندئذ التمس شيوخ عسير ، دفعاً لهذا العدوان، المساعدة من ابن سعود واضعين بلادهم تحت حمايته بموجب معاهدة عُقدت في مكة في [٣١] تشرين الاول (أكتوبر) سنة ١٩٢٦ .

وكان الامام يحيى قد انشأ ، في اثناء ذلك ، علاقات مع ايطالية التي كانت تطمع في وقاية الصومال الواقع تحت استعمارها، من الساحل المقابل ، والتي كانت قد اكتسبت ، منذ عهد طويل ، مركزاً تجارياً في اليمن . وفي ٢ أيلول (سبتمبر) سنة ١٩٢٦ عقد معاهدة صداقة مع ايطالية وعَدَ فيها بتشجيع المشاريع الايطالية وبالاشتراك في مكافحة تجارة الرقيق اذا ما ساعدته ايطالية اقتصادياً وقدمت له ما يحتاج اليه من الاسلحة الحربية . وفي اول حزيران (يونيو) سنة ١٩٢٧ زار وليّ العهد ، سيف الاسلام محمد ، مدينة رومة لمفاوضة رجال الصناعة الايطاليين . والواقع ان الامام بالغ في تقدير المساعدة المتأتية عن هذه الطريق، وكان يعتقد بادىء الأمر ان في ميسوره أن يبسط سلطانه على منطقة عَدَن الداخلية ، على حساب البريطانيين . وإذ كانت بريطانية غير مَعْنيّة في الواقع إلا بثغر عَدَن نفسه فقد رغبت بادىء الأمر في الوصول الى تسوية ، على الرغم من ان الامام ما انفك يهاجم محميّيها ، ولم تلجأ الى استعمال اسطولها الجوي إلا عندما طالبَ بتخلّيها عن جميع الاراضي التي كانت تابعةً ، في ما مضى ، لليمن. ومع ان الامام جلا عن جزء من الاراضي التي احتلها فقد امتنع

فترةً طويلةمن الزمان عن عقد معاهدة مع بريطانية ، بل لقد ثبّته في مقاومته وفد تجاري سوفياتي. والواقع انه لم يرتضِ عقد هذه المعاهدة إلا عندما وجد نفسه مهدداً من جانب ابن سعود. ذلك بأن الحدود المشتركة بين اليمن وعسير ، الواقعة تحت الحماية الوهابية ، كانت دائماً مثار احتكاك واصطدام حتى لقد اضطرّ ابن سعود الى ان يقوم بعمل حاسم . وهكذا زحفت جيوشه ، في مطلع سنة ١٩٣٤ ، زحفاً سريعاً فاحتلت الاقسام الساحلية من تهامة بالاضافة الى الحُدَيدة . ولكن ابن سعود اكتفى في معاهدة الصلح المعقودة في الطائف ، في ٢٠ نوار (مايو) سنة ١٩٣٤ ، باعتراف اليمن بحدوده فلم يطالب بضمّ ايما اقليم جديد الى ممتلكاته .

سياسة ابن سعود الداخلية

والحق ان ملك نجد والحجاز كان ، ولا يزال ، مَعْنياً بالعمل على تدعيم سلطانه اكثر من عنايته بالعمل على توسيعه . وعلى الرغم من انه اضطر في بعض الاحيان الى ان يقمع بقوة السلاح ثورات بعض القبائل البدوية فقد كان يُؤثر ، على العموم ، ان يمكن لسلطته – شأن الرسول العربيّ من قبلُ – من طريق التصاهر مع شيوخ القبائل ، يساعده على ذلك نظام تعدّد الزوجات في الاسلام وسهولة الطلاق. ولكنه كان يُعنى دائماً ايضاً ، وفي نجاح ، بتعريف بلاده الى ثمرات الحضارة الحديثة مسترشداً في هذا المضمار بنصائح سِنْجن فيلبي الحكيمة . ولقد سبقت منا الاشارة الى إنزاله « الاخوان » في مستعمرات زراعية . وإنما وجّه اهتماماً خاصاً نحو مسألة المواصلات ، وكانت ذات شأن كبير بسببٍ من

طول المسافـــات وتباعدها . وكما عمل الفرنسيون والانكليز في سورية والعراق على إحلال السيارات ، في صورة متزايدة ، محلّ قوافل الجمال ـ هـذه القوافل التي عادت على العرب بربح ٍ طائل خلال الحرب العالميـة الاولى ـ كذلك ادخل ابن سعود السيارة الى شبه الجزيرة حتى لقد انتهت مواصلات الحج الى ان تكون اليوم آلية بالكلية. ليس هذا فحسب، بل لقد اصطنع ابن سعود، منذ طويل ، كلًا من التلفون والراديو في دوائره الحكوميـة ؛ وطفق يسعى مؤخراً ـــ وخاصةً بعد ان لمس شخصياً حسنات الطب الاوروبي ـ إلى ان يجعل منافـع علمَي الصحة والطب الحديثين في متناول رعاياه . كذلك لقيَ التعليم ـ الذي كان مهملًا حتى ذلك الحين في شبه الجزيرة ، باستثناء مكة والمدينة ، اهمالاً تاماً ـ اهتماماً وعناية من جانب العاهل السعودي .

سورية وفلسطين وشرق الأردن والعراق

●

الوعي القومي والجمعيات العربية السرية

كان لثورة الحسين على الاتراك اثر كبير في إنعاش آمال العرب في طول الامبراطورية العثمانية وعرضها . بيد ان الفروق الاجتماعية والدينية كانت ما تزال تحول ، حتى ذلك الحين ، دون نشوء وعيٍ قومي صحيح في سورية . فبالاضافة الى الاقليات القومية من اكراد وأرمن ومن جراكسة متشتتين في البلاد ، كانت مصالح البدو والفلاحين وسكان المدن الاقتصادية متباينة تبايناً بعيداً يحول دون توحيد ابنـــاء البلاد المتوزّعين الى سنّة وشيعة ودروز ونُصَيْرية من جانب ، والى كاثوليك وموارنة ومَلكيين ويعاقبة تابعين لرومة وروم ارثوذكس ونساطرة من جانب آخر . والواقع ان الشعور بقومية واحدة تشدّ السوريّ الى اخيه السوري في نضال مشترك ضدّ الاتراك الحاكمين لم يستيقظ إلا في الاوساط الراقية ، تحت تأثير الثقافة الفرنسية ، التي كانت راسخة القَدم منذ قرنٍ ونيف ، والافكار الديموقراطية التي نشرتها جامعة بيروت الاميركية . وبينما كبتَ حكمُ عبدالحميد الاستبدادي حرية الفكر كبتاً كاملاً ، فاضطر جمهرة من السوريين ، بسبب

ذلك وبسبب من تأخر البلاد الاقتصادي ايضاً ، الى الهجرة الى مصر واميركا ، نجد ان استيلاء رجال تركية الفتاة على الحكم — وكانوا يريدون جمع شتات المواطنين في انحـــاء الامبراطورية العثمانية كلها حول مثل أعلى دستوري جديد ، من طريق القضاء على التمييز العنصري ، ومن ثم حاربوا الثقافة العربية بعنف — قد قوّى رغبات العرب في التحرر وتقرير المصير . وكان طبيعياً ، في مثل هذه الظروف السياسية التي شرحناها ، ان يضطر احرار العرب الى تشكيل جمعيات سرية ، على غرار ما فعــــل رجال تركية الفتاة أنفسهم . وفي سنة ١٩٠٤ انشأ نجيب العازوري ، السوري ، جمعية وطنية عربيــة غايتها سلخ الولايات العربية عن الامبراطورية العثمانية بمساعدة فرنسة ؛ حتى اذا أعلن الدستور اعتبر العازوري ان هدفـــه قد تحقق فانقطع عن نشر صحيفة « الاستقلال العربي » * التي أسسها بالاشتراك مع موظف سابق من موظفي وزارة المستعمرات الفرنسية ، إ . يونج ** . وبعيد إعلان الدستور العثماني مباشرة ألّف عدد من العرب المقيمين في استانبول جمعية دعوها « الأخاء العربي العثماني » ابتغـــاء تعزيز مُثلهم العليا في نطاق الدولة الجديدة ؛ ولكن هذه الجمعية حُلت بعد الانقلاب الذي قام به عبد الحميد . وخوفاً من المصير نفسه فقد أسس الموظفون والنواب والكتاب العرب في استانبول ، صيفَ سنة ١٩٠٩ ، نادياً ظاهرهُ أدبيّ محض دعوه « المنتدى الأدبي » ؛ وما لبث هـــذا النادي ان انشأ له فروعاً في مصر

E. Jung **   L' Indépendence Arabe *

وسورية ، عاملاً في المقام الاول على إثارة الشعور القومي العربي في نفوس الشباب؛ وفي آذار (مارس) سنة ١٩١٥ حُلت هذه الجمعية. والواقع ان عدداً من كبار موظفي الدولة العرب ، فيهم وزير الاوقـــاف السابق خليل حمادة باشا ، وضابط الاركان عزيز علي المصري الذي رأيناه يعمل في خدمة الحسين ، اقول ان عدداً من كبار موظفي الدولة العرب أسسوا ـ ضمن هذا النادي ـ لجنة أصغر ذات اهداف سياسية ، وسموها « القحطانية » ومنها انبثقت جمعية الضباط المعروفة بـ « العهد » والتي انضم اليها في ما بعد فرع عراقي أفصح عن اهدافه الحقيقية بهذا الاسم الجديد الذي اتخذه : « الثورة العربية ». وفي لبنان ، الذي كان يتمتع منذ زمن طويل ـ على اية حال ـ بأدارة تكاد تكون مستقلة عن النفوذ العثماني أُسست جمعية « النهضة اللبنانية » التي قالت بضرورة احتلال فرنسة للبلاد ، ومن هنا حظيت بتأييد كبير من جانب القنصل الفرنسي العـــام في بيروت . وقـــد تعاون مع « النهضة اللبنانية » هذه حزب آخر اسسه النصارى في بيروت ، أعني « الجمعية الاصلاحية » . والحق ان معظم هذه الجمعيات ما لبثت أن ذابت في الجمعيـة اللامركزية التي انشئت في مصر اواخر سنة ١٩١٢ والتي انتشرت فروعها في جميع البلاد الناطقة بالضاد . والى هذه الجمعية أيضاً انضمت جمعية « العربية الفتاة » التي أسسها طلاب العرب في باريس سنة ١٩١١ ، والتي تعاونت تعاوناً وثيقاً مع جمعية « العهد » وخاصةً في أوساط الموظفين المدنيين في سورية [٢١] وفي مؤتمر عقـــد في باريس ، في

---

(٢١) افضل المراجع في ما يتصل بتنظيم الجمعيات العربية هو الـكتاب التركي

حزيران (يونيو) سنة ١٩١٣ ، حدّد ممثلو هذه الجمعيات مطالبهم ، وكان أهمها قصر الخدمة العسكرية على ارض الوطن [دون البلدان النائية] واعتبار العربية لغة رسمية . وقد أظهر رجال تركية الفتاة الذين كان لهم مندوبوهم في هذا المؤتمر رغبتهم في الموافقة – تحت ضغط الحرب البلقانية – على هذه المطالب . حتى اذا نشبت الحرب العالمية الاولى رفض جمال باشا ، قائد الجيش الرابع العام في سورية ، أن يسمح لهذه الجمعيات بأن تنشط وتتآمر على سلامة الدولة . ثم ان المراسلات الدائرة بين هذه الجمعيات وبين [جورج] بيكو ، قنصل فرنسة العام في بيروت ، وقعت في يده فأخضع اعضاءها لأقصى عقوبات القانون العسكري ، فحكم الديوان العرفي المنعقد في عاليه ، لبنان ، على ثلاثة وثلاثين منهم بالموت .

الخلفاء يخيبون آمال العرب

ولكن آمال الوطنيين العرب انتعشت من جديد وبلغت أوجها عندما اذاعت بريطانية وفرنسة ، في ٨ تشرين الثاني (نوفمبر)

الأخضر *La Verité sur la question syrienne*, publié par le Commandement de la IVème Armée, Stamboul , 1916 .

راجع أيضاً جورج انطونيوس « اليقظة العربية » *The Arab Awakening* ص١٠١ وما بعدها . وامين سعيد (محرر الصحيفة القاهرية المقطم) [سابقاً]: « الثورة العربية الكبرى » (وهو عرض مرفق بوثائق عدة ، وقد منع الفرنسيون تداوله في سورية: انظر *Oriente Moderno* XV, 1935 , p. 157) الجزء الاول ، القاهرة ص ١ – ٥٠ ؛ وانظر ايضاً حافظ وهبه ، سفير المملكة العربية السعودية في لندن : « جزيرة العرب » القاهرة ١٩٣٠ ص ١٧١ وما بعدها ؛ و ج. كامفماير :

G. Kampffmeyer, *Dokumente zum Kampf der Araber um ihre Unabhangigkeit* , *Welt des Islams* , VIII (1926),p .79-186.

سنة ١٩١٨ ، بعد هدنة مودروس ، بياناً مشتركاً صرحتا فيه إنّ ما هـــدفنا اليه من الحرب - وهو تحرير الشعوب الخاضعة للنير العثماني - قد تحقق الآن ، وانهما مستعدتان منذ اليوم لأقامـــة حكومات مستقلة في سورية والعراق تكفل لهـــذين القطرين تطوراً سياسياً حراً [٢٢] . أمّا مـا اذا كان في استطاعة الشريف حسين - لو حافظت بريطانية على وعودها العرجاء - ان يلاقي النجاح في توحيد هذه الفئات المتفرقة والمصالح المتباينة ، فموضع شك ، على الرغم من جميع الاتصالات والعـلاقات التي انشأها ابنه فيصل في دمشق. ولكن اتفاقية سايكس بيكو وتصريح بلفور (٢ تشرين الثاني « نوفمبر » سنة ١٩١٧) الذي ينص على ان الحكومـــة البريطانيـة تنظر بعين العطف الى انشاء وطن قومي لليهود ، في فلسطين ، اظهرا وحدهما أن الحلفاء كانوا قد انتهوا الى قرارات مختلفة جداً عن [منطوق البيان الفرنسي البريطـاني المشترك] في ما يتصل بمستقبل الاجزاء العربيـة المنسلخة عن الامبراطورية العثمانية . وكانت المسألة ، بالنسبة الى فرنسة ، مسألة نفوذ واعتبار ، ورغبةٍ في ان تجني ، آخر الامر ، بعض الفائدة السياسية مما زعمته لنفسها ، طوال قرون عدة ، من حقّ حماية النصارى في الشرق ، ومما بذلته من جهود ناجحة بسبيل نشر الثقافة الفرنسية في سورية ، على الرغم من ان مصالحها الاقتصادية في هذه البلاد لم تكن قد نمت واتسعت بعد . اما بريطانيـــة فكان عليها ان تفكر دائماً بمصالح

---

(٢٢) انظر ايرلند *Iraq* ص ٤٥٩ وما بعدهـا ؛ وانظر انطونيوس *Arab Awakening* ص ٤٣٥ وما بعدها .

امبراطوريتها الحيوية ، في العراق ، لكي تصون طرقها البحرية الى الهند من أي اعتداء تتعرض له من الخليج الفارسي ، ولكي تعزّز هذه الطرق بالطرق الجوية الجديدة ، ولتسخر اخيراً ينابيع النفط الغنية في جنوبي إيران وفي العراق لخدمة سيادتها البحرية .

فيصل ينتخب ملكاً على سورية

وسعى ابنـاء الحسين الى استنقاذ ما يمكن استنقاذه ، على الاقل ، بعد ان شيّع ابوهم آماله . وكان فيصل قد راضَ نفسه على الرضا باحتلال الفرنسيين للمنطقة الساحلية السورية بعد اتفاق سايكس - بيكو ، راجياً ان يُعترف به اميراً ، على الاقل ، في المناطق الداخليـة ، حيث كان الأمل بانشاء دولة « مستقلة » لا يزال قائماً . وهكذا شخص فيصل الى لندن ، في تشرين الثاني (توفمبر) سنة ١٩١٨ ، ليفاوض وزارة الخارجية البريطانيـة والزعماء الصهيونيين ؛ وفي ٦ شباط (فبراير) سنة ١٩١٩ دافع هو ولورنس عن حق العرب في الاستقلال التام امام مؤتمر الصلح في باريس ، على الرغم من ان الجمعية السورية اللبنانية في باريس كانت طالبت بان يكون لسورية ولبنـان وضع خاص تحت الانتداب الفرنسي . وإذ كان فيصل يؤكد توكيداً شديداً على ضرورة الاستماع الى اماني السكان انفسهم فقد اقرّ مجلس الاربعة*، في ٢٥ آذار (مارس) ، اقتراح ولسن القاضي بارسال بعثة تحقيق الى سورية مؤلفة من الخبيرين الاميركيين كنج ** و كرين***.

---

* المؤلف من ممثلي الولايات المتحدة وبريطانية وفرنسة وايطالية. [المعربان]

** H. C. King

*** Charles R. Crane

فخيّل ذلك لفيصل انه نال ما يبتغي، فانقلب الى سورية في الاسبوع الاول من نيسان (ابريل) . وهناك انصرف في الحال للعمل ضد فرنسة ؛ ومن اجل ذلك اكتسب تأييد الاتراك ، واكتسب على الخصوص تأييد بريطانية التي زودته بالمال وزودت انصاره بالسلاح. وفي اول شباط (فبراير) تحوّلت جمعية والعربية الفتاة» السرية الى حزب يعمل في العلن باسم « حزب الاستقلال العربي » وعقدت مؤتمراً طالب باستقلال سورية وفلسطين تحت تاج فيصل . وعلى الرغم من انه رفض إخضاع البلاد للانتداب فقد التمس مساعدة اميركية، او مساعدة بريطانية على أية حال ، في إقامــــة الدولة الجديدة . وطوّفت لجنة كنج - كرين في انحاء فلسطين وسورية طوال اسابيع ستة، ابتداء من ١٠ حزيران (يونيو) ؛ وقد ايدت ملكية فيصل على سورية ، وأوصت بتطبيق نظام الانتداب ، ولكنها رفضت أن تُسلّم فلسطين للصهاينة . واذ كان ولسن قد لزم فراش المرض بعد عودة اللجنة مباشرة ، فقد أُهمل تقريرها ولم يُحدث اثراً في تقرير مستقبل سورية . حتى اذا اخفقت فرنسة وبريطانية في الوصول الى اي اتفاق ، دعا لويد جورج فيصلا الى لندن ، كرّة أخرى ، في آب (اغسطس) سنة ١٩١٩ ؛ ثم إن فيصلاً عقد اتفاقاً مع كليمنصو * بباريس ، في ٢٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ، بعد ان زوده لويد جورج بارشاداته ، وقد قضى هذا الاتفاق بان تعترف فرنسة بالدولة الفيصلية دولة مستقلة [ضمن الحدود التي سيعينها لها مؤتمر الصلح] إذا ما قبِلَ فيصل مساعدة

* Clemenceau

فرنسة في إنشاء هذه الدولة . وسرعان ما شرعت بريطانية ، بعد ذلك ، في الجلاء عن شمالي سورية، حين اذا تقدّمت القوات الفرنسية لاحتلال هذه المنطقة [اي شمالي سورية] اصطدمت بمقاومـة القوات العربية في طرابلس وبعلبك وغيرهما . والواقع ان اتفاق فيصل مع كليمنصو قوبل ، لدن عودته الى سورية، بنقد عنيف ؛ بيد ان الامير العربي استطاع ان يهدّيء من ثائرة أنصاره بعـد ان اوضح لهم صفة هذا الاتفاق الموقتة . وفي ٨ آذار (مارس) سنة ١٩٢٠ عُقد في دمشق مؤتمر وطني أعلن فيصلاً ملكاً على سورية .

سورية تحت الانتداب الفرنسي

ولكن مؤتمر سان ريمو عهد الى فرنسة ، في ٢٥ نيسان (ابريل) سنة ١٩٢٠، بالانتداب على سورية كلها [٢٣] فلم يكن من الجنرال غورو * قائـد القوات الفرنسية في لبنان إلا ان وجّه – استناداً الى هذا القرار – انذاراً الى فيصل (١٤ تموز « يوليو » سنة ١٩٢٠) يطلب اليه فيـه الاعتراف بالانتداب الفرنسي ، واخضاع الخطوط الحديدية للرقابـة الفرنسية ، واقرار الورق

---

(٢٣) والواقع ان العالم ادرك حقيقة هـذه الانتدابات أول ما ادركها في ٢٠ حزيران (يونيو) سنة ١٩٢٠ من الخطاب الذي ألقاه اللورد كرزن وزير الخارجية البريطانية ، في مجلس اللوردات ، والذي اعلن فيه في صراحة تحمد له ان انتدابات جمعيـة الامم حديث خرافة ، لانهـا ليست سوى وسيلة لتوزيـع البلدان المفتوحـة بين المنتصرين . راجـع النص في ايرلند : Ireland, *Iraq*, p. 268

* Gouraud

السوري الذي اصدره غورو نقداً البلاد، ومعاقبة «الثوار» . ونزع فيصل بادىء الامر الى الاذعان ، ولكنه اضطر بعدُ الى رفض الانذار ، تحت ضغط الرأي العام الهائج . وفي ٢٢ تموز (يوليو) هزم الجنرال غوبيت * جيوشه ؛ وفي ٢٣ تموز احتُلت حلب لتتبعها دمشق في ٢٥ من الشهر نفسه . وانتظر فيصل أن تُنجده بريطانية ، ولكن انتظاره كان على غير طائل . وفي معاهدة سيفر (١٠ آب « اغسطس » سنة ١٩٢٠) وُضعت سورية ، كدولة مستقلة ، تحت الانتداب الفرنسي ريثما تصبح أهلاً للحكم الذاتي ؛ ولكن هذا لم يمنع فرنسة من تجزئة سورية الى اربع دول هي (أ) لبنان الكبير (ب) دمشق (ج) حلب (د) دولة العلويين (وهي منطقة النصيرية الواقعة شمالي لبنان بين العاصي والبحر الابيض المتوسط .) ليس هذا فحسب . بل لقد ضُمت بيروت وطرابلس والبقاع (وكان يعرف قديما بسورية المنخفضة **) الى لبنان ايضاً ، حتى لقد حِيلَ بين سورية الامّ وبين البحر حيلولةً تامة . وبينا كان في لبنان ، قبل ذلك ، اكثرية من الموارنة الموالين لفرنسة - ويبلغ عددهم ٢٠٠٠٠٠ نسمة - انتهى منذ اليوم الى ان ينتظم الى جانب الموارنة ١٣٥٠٠٠ من النصارى المنتمين الى مختلف الطوائف ، بالاضافة الى ٣٠٠٠٠ ارمني ، و٢٠٠٠٠ من الاجانب، فضلاً عن ٢٥٠٠٠٠ سنيّ ، و١٠٥٠٠٠ شيعيّ ، و ٤٤٠٠٠ درزي . واذا ذكرنا ما كان بين هذه

---

* Goybet

** « Coele - Syria »

الجماعات المتعددة من خلاف ادركنا ان التنظيم السياسي الداخلي لهذه البلاد خليق بأن يكون عسيراً جداً . أما مقاطعة حوران الدرزية التي كانت حتى ذلك الحين متمتعة باستقلال داخلي فقد ضمت الى دمشق . وفي الدول الاربع جميعاً تقلد ازمّة السلطة موظفون فرنسيون ، على الرغم من إسناد حكومة دمشق الى حاكم سوري موال للدولة المنتدبة .

وعلى أية حال ، فلم تكن هـذه التجزئة لتهدىء من ثائرة السوريين فهبوا لمقاومتها لا في صحفهم المحلية فحسب ، بل بواسطة مواطنيهم في اوروبة ايضاً . وحاولت فرنسة ان تقضي على هذه المعارضة ، سنة ١٩٢٢ ، فأعلنت دمشق وحلب ودولة العلويين دولة اتحادية سورية ، مقابل لبنان الكبير . ولكنها لم تحدث ايما تعـديل أساسي في تنظيمها الداخلي . وبموجب دستور ٢٢ نوار (مايو) سنة ١٩٢٦ حوّل لبنان الكبير الى جمهورية ؛ بيد ان جهاز هذه الجمهورية الاداري ما لبث ان اختصر اختصاراً كبيراً خلال السنتين التاليتين ، ابتغاء الاقتصاد في نفقاته الجسيمة .

وحصلت الدولة الاتحادية السورية على مجلس اتحادي ينتخب رئيسه مرة كل عام ؛ ولكن قرارات هـذا المجلس لم تكن توضع موضع التنفيذ الا بعد ان يصدق عليها المفوض السامي الفرنسي ، ومن هنا لم يكن لها غير أثر ضئيل في ادارة كل من دول الاتحاد على حدة، هذه الادارات التي كانت مستقلة بعضها عن بعضها الآخر في سائر الشؤون . من اجل ذلك الغت فرنسة ، بعد اختبار دام سنتين ، هذا النظام الاصطناعي الملفق . وفي مطلع كانون الثاني

(يناير) سنة ١٩٢٥ حل الجنرال ويغان* ، الذي خلف الجنرال غورو، الاتحاد وأدمج دمشق وحلب في دولة سورية واحدة ، بينما ترك دولة العلويين « المستقلة » وشأنها .

الثورة السورية

وفي تموز (يوليو) سنة ١٩٢٥ انفجرت نقمة السوريين — هذه النقمة التي كانت قيدَ الاختمار منذ زمن طويل بعد ان رزيء القوم بآمالهم الوطنيـــة ـ في ما بين الدروز الذين كانوا يعتزون باستقلالهم طوال قرون، وذلك إثر عمل جلف صدر عن ضابط فرنسي ** كان يحكمهم بوصفـــه مندوباً عن المفوض السامي . وعلى الرغم من ان الجنرال ويغان استطاع ان يُنقـــذ في ايلول (سبتمبر)، حملة التأديب الفرنسية التي حاصرها الدروز في السويداء، فقد امتدت الثورة الآن الى دمشق وعمّت البلاد من أقصاها الى أقصاهـا . ولم يُحجم الفرنسيون عن تسليح الجراكسة والارمن والسماح لهم بان ينزلوا حيثما شاءوا . وعلى الرغم من إقالة الجنرال ساراي *** بعـد ان امر بقذف دمشق بالقنابل من الجو ومن القلعة ، فقـــد انساق خلفهُ ، دي جوفنيل **** ، ولم يكن عسكرياً، الى ان يسلك مسلك سلفه، في نوار (مايو) سنة ١٩٢٦. ولم تخمد حرب العصابات نهائياً إلا في ربيع سنة ١٩٢٧ .

النضال في سبيل الاستقلال

وفي آب (اغسطس) سنة ١٩٢٦ اضطرت فرنسة الى ان

---

* Weygand
** الكابتن كربيه . [للمعرّب]
*** Sarrail
**** De Jouvenel

توجه الى سورية ، بدلاً من الحكام العسكريين ، رجلا ادارياً مجرّباً ، هو المسيو بونسو * الذي وُفق الى ان يعوّض خلال سبع سنوات من الخدمة ، عن الاخطاء الجسام التي اقترفها أسلافه ولكنه لم يستطع ان يُجيب الوطنيين السوريين الى مطالبهم . وفي شباط (فبراير) سنة ١٩٢٨ عهدَ الى احد هؤلاء الوطنيين ، [الشيخ] تاج الدين الحَسنيّ ، في تأليف الحكومة ، واصدر قراراً بأن يجري ، في شهر نيسان (ابريل) من السنة نفسها ، انتخابُ الجمعية التأسيسة التي تضع لسورية دستورها . ومع ان بونسو لم يدع وسيلة للتأثير في الانتخابات إلا اصطنعها فقد أسفرت عن نصر كاسح للوطنيين الغلاة الذين انتخبوا ، لدى انعقاد الجمعية ، هاشم بك الاتاسي رئيس الوزراء في عهد فيصل ، رئيساً للجمعية التأسيسية . وفي ٢ آب (اغسطس) اتمت اللجنة الدستورية المنبثقة من الجمعية التأسيسية مشروعاً للدستور اهمل الانتداب اهمالاً تاماً ، وطالب بجمهورية ينتخب رئيسها لمدة ثلاث سنوات ويجعل الاسلام ديناً للدولة . وإذ قد رفضت الجمعية التأسيسية احتجاج بونسو على مطالبها التي لا تتفق والانتدابَ المفروض من جانب عصبة الامم ، فقد اضطر الى حل الجمعية . ولم يوفّق المسيو بونسو الى انفاذ الدستور الجمهوري سنة ١٩٣٠ ، إلا بعد مفاوضات طويلة مع زعماء الاحزاب الذين تفككت ، وشيكاً ، تلك الجبهة الموحدةُ التي واجهوا بها معارضة المفوض السامي من قبل ؛ وفي حزيران (يونيو) سنة ١٩٣٢

* Ponsot

اسفرت الانتخابات ، التي نجح الفرنسيون هذه المرّة في التدخل بها اكثر من ذي قبل ، عن برلمان رضي عنه بونسو . ثم ان هذا البرلمان انتخب رئيساً * للدولة موالياً للفرنسيين . وفي السنة التالية قدّم بونسو الى البرلمان مشروع معاهدة كان يُقصد منها ، ان تقوم مقام الانتداب شأن المعاهدة التي عقدتها بريطانية مع العراق . بيد ان هذا المشروع لم يأت وفق الأماني التي كان يعمل لها الوطنيون ، فرفضه البرلمان . وعندئذ قدّم بونسو استقالته ، فخلفه [الكونت] دي مارتل ** الذي حل البرلمان بعد ان رفض إقرار مشروع المعاهدة ، كرةً أخرى ، وتولى مقاليد الحكومة بمفرده . وفي النصف الاول من كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٣٦ ، أمر دي مارتل بأن تفتش الشرطة مكاتب الكتلة الوطنية بمناسبة احتفالها بذكرى احد زعمائها ، فبلغ الاستياء الشعبي من اساليبه التعسفية أقصاه ، واضربت البلاد احتجاجاً ، فشُلت الحياة الاقتصادية طوال أسابيع عدّة . وفي آخر شباط (فبراير) وجد المفوض السامي نفسه مضطراً الى الاذعان لأرادة الشعب، وعندما أعلنت الحكومة الفرنسية استعدادها لأن تفاوض ، في باريس، وفداً سورياً لعقد معاهدة بين البلدين ، خُتمَ الأضراب في اول آذار (مارس) . ولكن الوفد السوري لم يوفق الى التفاهم مع الجانب الفرنسي على معاهدة ترضي السوريين الا في ٩ ايلول (سبتمبر) بعد ان خلف ليون بلوم *** المسيو دالادييه ****

---

* صبحي بركات . [المعربان] ** de Martel

*** Leon Blum **** Daladier

في رئاسة الحكومة الفرنسية ، وعلى غرار هذه المعاهدة استطاع دي مارتل ان يعقد معاهدة أخرى مع الجمهورية اللبنانيـة في ١٣ تشرين الثاني (نوفمبر) . والواقع ان المعاهدة الـــتي اتفق على ان لا توضع موضع التنفيذ إلا بعد انقضاء ثلاث سنوات ، قضت بان يحتفظ الفرنسيون في سورية بحامية عسكرية في كل من حوران واللاذقية ، وبقاعـــدتين جويتين دائمتين ، ليس غير ، في حين احتفظوا ، في لبنان ، بحق الاحتلال غير المحدود ؛ وتعهدت فرنسة بأن تساعد الدولتين السورية واللبنانية على الانضمام الى عصبة الأمم. وقد كان هذا خليقاً بأن يحقق للوطنيين السوريين مطالبهم الاكثر إلحاحاً وان يمهد السبيل لتطوّر الدولتين تطوّراً حرّاً من غير ان يكلف فرنسة الانقطاع عن اداء رسالتها الثقافية في الشرق .

المشكلة الفلسطينية

كانت خيبة آمال العرب في فلسطين ، عنـــد انتهاء الحرب العالمية الاولى اشدّ وامرّ من خيبة آمال السوريين انفسهم ، لانهم بذلوا تضحيات كـبرى – في جانب البريطانيين – بسبيل تحرير بلادهم من الحكم التركي! . والحقّ ان الشريف حسين كان دائمـاً ينظر الى فلسطين وبيت المقدس – وهي محلّ تقديسٍ من جانب المسلمين ايضاً – كجزءٍ اساسيّ من الدولة العربية التي كان يرجو اقامتها . غير ان الحملة التركية على قناة السويس اقنعت بريطانية كرةً ثانية ، بصحة النظرية التي طالما برهن التاريخ على صوابها : أن التحكم في شؤون مصر لا يتم الا من قاعدةٍ سوريةٍ ، وان شبه جزيرة سيناء ، التي استولت عليها لتلك الغاية ، لم تكن تفي بالمراد.

وفي سنة ١٩١٥ اقرّ اللورد غراي * ولويد جورج المشروع الذي وضعته القيـــادة العليا في مصر والقـاضي بضمّ فلسطين الى الامبراطورية . ولكن الحكومة البريطانيـة رأت من الحكمة ان تخفي هذه الخطة وراء ستار انساني ؛ وقد وجدت ذريعة ملائمة لذلك في المطالب التي انبثقت عن المؤتمر الصهيوني الاول المنعقد في مدينة بال ** ، في آب (اغسطس) سنة ١٨٩٧ ، لانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين . واذْ كانت فرنسة لا تزال تطالب ببسط نفوذها على سورية كلها ، فلم تنص اتفاقية سايكس بيكو ، في ما يتعلق بفلسطين ، الا على انشاء ادارة دولية فيهـا ، يُعين شكلها [بعد استشارة الروسيا] وبالاتفاق مع بقية الحلفاء وممثلي شريف مكة . والحق ان بلفور *** كان اول من اعلن — في صراحة — عن عطفه على فكرة الوطن القومي ، وذلك في رسالة وجهها الى اللورد روتشـلد **** ، في تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩١٧ . واكتسبت بريطانية تأييد الصحافة اليهودية بسببٍ من سياستها الفلسطينية . ولكن خططهـا اثارت معارضة فرنسة في مؤتمر الصلح بباريس ؛ ولم تستطع بريطانية انفاذ هذه الخطط إلا بعد أن تهدّدت فرنسةَ بأن تتخلى عن تأييدها في سياسة الابتزاز التي سارت عليها في المانية .

وفي مؤتمر سان ريمو وُفقت بريطانية الى ان تُخضع فلسطين لانتدابها ، (٢٤ تموز « يوليو » سنة ١٩٢٢) ضاربةً عرض الحائط

---

* Grey
** Basel
*** Balfour
**** Rothschild

بمسألة الادارة الدولية . وفي ١٠ آب (اغسطس) نشرت بريطانية دستور فلسطين الذي انطوى في ذات نفسه ــ بحكم ما يكتنف مضامينه من غموض اقتضته ثنائية الهدف الذي رمت اليه السياسة البريطانية ــ على بذور التطور المحزن الذي قدّر لتلك البلاد . وبموجب هذا الدستور مُنح المندوب السامي المعين من قِبل الحكومة البريطانية سلطة تكاد تكون كاملة وأطلقت يده في تقسيم البــــلاد الى مقاطعات إدارية ، وفي التصرّف بالاراضي الاميرية والموارد المعدنية وثروة البلاد الطبيعية وغيرهـــا ، وفي تعيين الموظفين وعزلهم . وقضى الدستور بأن يعاون المندوبَ السامي مجلسٌ تشريعي يتألف من عشرة موظفـــين واثني عشر عضواً منتخَباً . والى جانب المحاكم المدنية التي اعتزمت السلطة المنتدبة إنشاءها ، والتي خُصصت إحداهـــا لمنطقة بئر السبع لكي تفصل في المنازعات الناشبة بين البدو وفقـــاً لقانونهم العشائري ، كانت المحاكم الدينية الخاصة بالمسلمين واليهود والنصارى تنفرد بالحكم في قضايا الاحوال الشخصية جميعـــاً . واعتُبرت الانكليزية والعربية والعبرية لغات رسميـة متساوية . وأُنيطت مسائل الهجرة بلجنة تتألف من احـد عشر عضواً من اعضاء المجلس التشريعي ، على الاقل ؛ فاذا وقع خلافٌ في الرأي بين هذه اللجنة والمندوب السامي كان القول الفصل في المسألة لوزير الخارجية البريطانية . اما سياسة فلسطين الخارجية ، فقـد عُهد في توجيهها الى الحكومة الامبراطورية التي تولت ايضاً مهمة الدفاع عن البلاد بجيوشها . وعلى الرغم من ان الحكومة البريطانية

اوضحت في الحال ان هذا الدستور لا يُقصد منه التمهيد لاقامة دولة يهودية في فلسطين ، فسرعان ما خشي العرب - مسلمين ومسيحيين - ان تهـدد الهجرة اليهودية مصالحهم السياسية والاقتصادية ، وبخاصة بعد ان رأوا الى بريطانية تختـار السير هربرت صموئيل * - وهو يهودي - ليكون اول مندوب سامٍ لها في فلسطين . وفي الحق أن الرأسماليين اليهود وفقوا الى شراء بعض الاراضي التي كانت حتى ذلك الحين بوراً غير مستثمرة ، من كبار المالكين العرب - وكان كثير منهم يحيـا خارج فلسطين - وإنشاء مستعمرات زراعية يهودية عليها . وفي المدن ، وبخاصة في تل ابيب المنشأة حديثاً ، اقامت الرأسمالية اليهودية صناعات مزدهرة واجتذبت التجارة اليها شيئاً بعد شيء . والواقع ان البلاد عرفت منـذ اليوم ازدهاراً اقتصادياً لا يُنكر ، ولم يكن في ميسور سكان البلاد الاصليين إحداثه ، ولكن هؤلاء السكان الاصليين لم يُفيدوا من هذا الازدهـار غـير فائدة قليلة الى ابعد الحدود ، بل إنهم على العكس رأوا الى مستوى حياتهم الخاص ينحطّ عما كان عليه قبـل . وبينـا نلاحظ ان الهجرة اليهودية المتعاظمة باطراد لم تأخذ في التناقص الا ابتداءً من سنة ١٩٢٥ ، حتى لقد زاد عدد المهاجرين من البلاد سنة ١٩٢٧ على عدد المهاجرين اليها ، نجد انها ما لبثت ان تضخمت تضخماً كبيراً منذ سنة ١٩٣٣ . وفي سنة ١٩٢٥ كان عدد اليهود العاملين في خدمة الحكومة الفلسطينية (٦٧٨)

---

* Herbert Samuel

قـــد زاد على عدد الموظفين المسلمين في تلك الحكومة (٦٣٢) ، ولكنه ظل اقل بكثير من عدد الموظفين النصارى (١٫٢٤٤)[٢٤] . والواقع ان الخلاف بين الاسلام والمسيحية ـ هذا الخلاف الذي اشتد بشكل خاص ، في البلاد المقدسة ، منذ القدم ـ قد حال في السنوات القليلة الاولى دون اتحاد العرب لدرء الخطر المحدق بهم . حتى اذا وافت سنة ١٩٢٨ صار في الأمكان عقـد مؤتمر عربي في القدس؛ وفي ٢٣ تموز (يوليو) طالب هذا المؤتمر المندوب السامي باقامة مجلس تمثيلي، فلم يكن من اليهود الا ان عارضوا هذا المطلب أشد المعارضة لان الاكثرية في مثل هذا المجلس ستكون للعرب. ولكن الحكومة البريطانية رأت ان من المتعذر عليها، من وجهة نظرها الخاصة ، إقرار هذا الطلب ايضاً .

وفي سنة ١٩٣٣ تدفق على البـلاد سيل الهجرة اليهودية من المانية ، واخذت هذه الهجرة في التضخم حتى لبلغ عدد المهاجرين اليهود الى فلسطين ٦١٫٥٤١ مهاجراً خلال سنة ١٩٣٥ ؛ فـكان طبيعياً ان يُحدث هذا كله ردّ فعل عنيفاً من جانب العرب. وفي هذه الفترة عقـد النصارى والمسلمون الخناصر للدفاع المشترك عن البلاد ؛ وتوارت عن المسرح ايضاً خصومات الأسر الاسلاميـــة المتزعمة، هذه الخصومات التي كانت حتى ذلك الحين عنيفة صارخة. واكتسب مفتي القدس [الحاج] امين الحسيني، بوصفه زعيم المسلمين،

(٢٤) كانت كثرة النصارى العرب من سكان المدن ، فلم يكن يعيش منهم في الأرياف ، حسب احصاء سنة ١٩٣١ ، غير ٢١٫٣١٨ مقابل ٦٩٫٢٨٩ كانوا يعيشون في المدن. اما المسلمون فلم يكن يقطن منهم المدن غير ١٨٤٫٤٣٨ في حين كان ٤٩١٫١٩٦ منهم فلاحين و ٦٠٫٠٠٠ منهم بدواً .

نفوذاً متعاظماً يوماً بعد يوم. واذا كانت النقمة العربية قد عبرت عن نفسها اول الأمر من طريق اصطدامات متفرقة وقعت بين العرب واليهود (بصرف النظر عن التعرّض للسياح، وهو أمر مألوف منذ القدم) وعجزت شرطة الدولة المنتدبة نفسها عن وقفها، فقد بلغت هذه النقمة الآن أوجها لتنقلب شيئاً بعد شيء الى حرب أهلية. ومنذ سنة ١٩٣٥ نظّم المتطوعون العرب صفوفهم ليربحوا لمواطنيهم معركة الاستقلال وتقرير المصير. وليس في ميسورنا ان نفصّل القول ههنا -وليس من حاجة الى ذلك- على هذه الاحداث المحزنة، خاصة واننا لا نملك حتى الآن الوثائق الموضوعية التي تساعدنا على اصدار الحكم.

وليس من شك في أن المحاولات التي قامت بها بريطانية للتعويض عن هذا الاخفاق العظيم في سياستها الشرقية لا تزال الى اليوم بعيدة عن النجاح. ففي صيف سنة ١٩٣٦ وجهت بعثة ملكية الى فلسطين لدرس الوضع فيها. ولكن العرب قرروا، لسوء الحظ، ان يقاطعوها ولم يُقلعوا عن هذا المسلك الخاطئ الا قبل خمسة ايام من مغادرتها البلاد، ومن هنا كان معظم اتصال البعثة بالمراجع البريطانية واليهودية. وفي تموز (يوليو) سنة ١٩٣٧ قدمت البعثة تقريراً خلصَت فيه الى اقتراح متعذّر يقضي بتقسيم البلاد - التي لا يمكن ان تؤلف، بحكم تكوينها، غير وحدة اقتصادية- الى ثلاث دول مستقلة: دولة يهودية في الشمال الغربي حيث يقطن نحوٌ من ٣٠٠،٠٠٠ عربي كان مقدراً عليهم أن يكونوا من رعايا هذه الدولة، ودولة عربية تنتظم

سائر البلاد ، ما خلا جزءاً اقترحت اللجنـــة اخضاعه لانتداب بريطاني جديد على ان تكون ضمن هذا الجزء المدن المقدسة الثلاث: القدس وبيت لحم والناصرة . وعلى الرغم من عاصفة الاستياء التي اثارها هذا التقرير في الاوساط العربيـــة فقد أرسلت الحكومة البريطانية ، وربيع سنة ١٩٣٨ ،بعثة فنية أخرى الى فلسطين لكي تدرس ما اذا كان في الامكان تنفيذ التقسيم ، ولو من طريق نقل السكان من منطقة الى منطقة ، على نطـــاق واسع ، اذا اقتضى الامر . وفي تلك الأثناء اقتنعت الحكومة البريطانية بان حل هذه المشكلة العسيرة لن يتأتى من طريق التقسيم ، فسعت الى ان تجمع زعماء الفريقين المتنازعين في مؤتمر يهدف الى اجراء تسوية ودّية . ولكن الحكومة البريطانية رفضت ان تدعو الى هذا المؤتمر مفتي القدس الاكبر الذي كان قد لجأ الى بيروت في ١٩ تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٣٧ فراراً بنفسه من خطر الاعتقال ؛ ولهـذا السبب تعذّر عقد المؤتمر حتى شبـــاط (فبراير) سنة ١٩٣٩ ؛ وقد دُعيت لشهوده سورية والعراق ومصر والمملكة العربيـــة السعودية ايضاً . بيد ان العرب رفضوا الاجتماع الى مندوبي اليهود. وهكذا كانت مصاير فلسطين ، في مطلع آذار (مارس) سنة ١٩٣٩ ، لا تزال معلقة غير مقطوع فيها .

مسألة شرقي الاردن

كانت البلاد الواقعة شرقيّ نهر الاردنّ جزءاً من سورية ، في مختلف عهود التاريخ ، وكان من المفروض ان تشكل جزءاً من الدولة العربية التي نصت اتفاقية سايكس – بيكو على انشائها .

ولكن مؤتمر سان ريمو اخضعها ، سنة ١٩٢٢ ، لانتداب بريطانية العظمى بوصفهـــا « واقعةً بين نهر الاردن وحدود فلسطين الشرقية .» وقد الحقتها بريطانية ، ضمناً ، بممتلكاتها لان الامبراطورية البريطانية كانت في حاجة ماسة اليها لتقوم سدّاً في وجه المملكة العربية السعودية ولتكون صلة مع العراق . وعلى الرغم من ان هذه البقعة كانت ولا تزال ، من الناحية الاقتصادية ،« مواتا » غير مستثمرة ومعظم سكانهـــا من البدو ، فقد هيأت لبريطانية فرصة مناسبة تساعدها على ان تصرف انظار العالم العربي عن نكثها بما قدّمت من وعود لآل الحسين . وفي ختام سنة ١٩٢٠ ظهر عبدالله ، اخو فيصل – وكان قد سمّي ، بادىء الامر ، ملكاً على العراق ولكنه أضطر الى التنازل لاخيه – أمام حدود فلسطين الجنوبية ، على رأس قوة صغيرة من البدو ، ابتغاء التدخل في سورية ؛ بيد ان اولي الامر من البريطانيين اقنعوه بالتريث ، ففعل وان لم ينقلب الى الحجاز . وكان فيصل قد شخصَ ، في كانون الاول (ديسمبر) ، الى لندن وأقنع تشرشل * ، وزير المستعمرات البريطاني آنذاك ، بان من مصلحة بريطانية ارضاء أخيـه . من اجل ذلك َقصَدَ تشرشل نفسه الى القاهرة ، في آذار (مارس) سنة ١٩٢١ ، واتجهَ من هناك إلى بيت المقدس . ثم انـه اصدر امره الى احد الموظفين البريطانيين بان يرافق عبدالله ، على قطار خاص من ُقطر الخط الحديدي الحجازي ، الى الكرك وعمان حيث تلقى البيعة من شيوخ القبائل الذين كان المندوب السامي

* Churchill

البريطاني ، السير هربرت صموئيل ، فـــد « بشـرهم » بنفسه بالاستقلال العتيد في خطبة القاهـا بمدينـــة السلط ، في ١٢ تموز (يوليو) سنة ١٩٢٠ [٢٥]. وفي ٢٨ آذار (مارس) استقبله تشرشل في القدس وثبّته اميراً على شرقي الاردن . واحتفظت بريطانيـة لنفسها بمجرد إيفاد مندوب سام الى العـــاصمة ، عمان ، وانشاء قاعدتين جويتين في عمان والجيزة . ولكن الحكومة البريطانية رأت ان من مصلحتها إبقاء هذه المسألة معلقة ، حتى حين .

وفي تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٢٢ شخص عبدالله الى لنـــدن يصحبه كبير وزرائه رضا الركابي، الذي سبق ان وزّر لاخيه فيصل في دمشق ، ابتغاء الوصول الى قرار حاسم . ولكن السير صموئيل لم يستطع ان يعلن ان بريطانية مستعدة للاعتراف بامارة عبدالله اذا ما عقد معها معاهدة حول حقوق الانتداب ومنح البلاد دستوراً ـ نقول إن صموئيل لم يستطع ان يُعلن ذلك الا في ٢٤ نوار (مايو) سنة ١٩٢٣ ، عندما زار عمان بمناسبة الاحتفال بعيد الفطر . والواقع ان هـذا الطلب الذي يقيد سلطة الامير ـ الضئيلة على كل حال ـ تقييداً جديـــداً اثار سخط البدو ، غير البالغين رشدهم سياسياً ، وأثارَ اسباب النزاع القـديمة تحت ستار تشكيل احزاب منظمة على الاساليب الحديثة . وهكذا وقعت في آب (اغسطس) سنة ١٩٢٤ ـ وكان الامير يؤدي فريضة الحج

---

(٢٥) اعتمدنا في هذا العرض ، الذي يختلف في بعض التفاصيل عما أورده توينبي Toynbee ، على كتاب « الثورة العربيـــة الكبرى » لأمين سعيد ج ٢ ص ١١ .

آنذاك – اضطرابات امتدت الى الحـــدود السورية ، حتى اذا رجع الامير الى عاصمته تلقى انذاراً بريطانياً لم يطلب اليه تسليم الثائرين فحسب ، بل اقصى الادارة المالية ايضاً عن دائرة نفوذه . والحق انه اضطرّ الى ان يرضى بتأليف حكومة يتولى ثلاثاً من اهمّ وزاراتها موظفون بريطانيون . وفي ٢٠ شباط (فبراير) سنة ١٩٢٨ عُقِدت في لندن معاهـدةٌ سلبتهُ السلطةَ الحقيقية كلها [٢٦] . والحق ان بريطانية استخفت بقوى البلاد وطاقاتها . فلم يكن من الصحف العربيـــة جميعاً الا ان اعلنت سخطها على هـــذا الاستسلام ، وعلى الانتقاص من حقوق الوزراء العرب وسلطاتهم ، فاشتعلت نيران الاضطراب والاضرابات ، وحاولت بريطانية ان تخمدهـــا بقنابل الطائرات . اضف الى ذلك ان الدستور الذي فُرض على الامير في ١٦ نيسان (ابريل) لم يمنحه هو ولم يمنح شعبه ايمـــا حقوق بالنسبة الى بريطانية ، ومن هنا استهدف لمقاومة عامـــة . وفي تموز (يوليو) سنة ١٩٢٨ عقد شيوخ القبائل ووجهاء المدن مؤتمراً في عمان لمعالجة الموقف ، وقد اجتمع الرأي فيه على رفض الانتداب البريطاني لانه تجاوز غايته الاصلية وهي مساعدة البلاد [مساعدة فنية نزيهة] حتى تصبح قادرة على الاستقلال ، وعلى المطالبة ببرلمان منبثق عن انتخابات حرة . حتى اذا حاولت الحكومة – خلال الخريف – إجراء الانتخابات

(٢٦) انظر النص الانكليزي المبني على الكتاب الابيض الصادر يوم ٢٦ آذار (مارس) سنة ١٩٣٨ في ، *The Near East and India* vol. 33 (1928) pp. 427 — 429 . اما النص العربي فتجـده في « الثورة العربية الكبرى » لأمين سعيد ج ٣ ص ٢٥ — ٣١ .

على الشكل الذي يضمن مصالحها ، قاوم الشعب هذه المحاولة اعنف مقاومة واشدها ؛ ولم توفق الحكومة الى اقامة « مجلس تشريعي » الا في كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٢٩ - وهو مجلس تقدم لانتخاب اعضائه ٣٪ فقط من المواطنين الذين يملكون حق الانتخاب . فكان من المتعذر ان تنشأ في البلاد ، في ظل هذه الظروف التي شرحنا ، حياة سياسية متطورة . والواقع ان جلسات البرلمان كثيراً ما كانت تؤجل لفقدان النصاب القانوني .

اما حياة البلاد الاقتصادية فكانت مضطربة ؛ وقد ساعد على اضطرابها ، بشكل خاص ، ما قام به الصهيونيون من محاولات لشراء الاراضي ، او استئجارها للمهاجرين اليهود . وفي سنة ١٩٣٣ استأجر اليهود من الامير عبدالله نفسه ٦٥٠٠٠ دونم (الدونم ٩٠٠ متر مربع) في غَوْر الكبد ، لمدة تسع وتسعين سنة ، لقاء عشرين الف جنيه فلسطيني . حتى اذا زار الامير ، بعد ذلك بقليل ، ضريح أبي عُبَيدة عامر ابن الجراح اعتبر الشعب انه قام بهذه الزيارة تكفيراً عما سلف منه . ومهما يكن من شيء ، فأن نفراً من كبار أصحاب الاراضي - من مثل مثقال باشا الفائز شيخ بني صخر - حبذوا مبدأ استئجار اليهود للاراضي الاردنية ايضاً ، وانشأوا حزباً جديداً كانت صحيفة « صدى الصحراء » تنطق بلسانه . ليس هذا فحسب ، بل ان هذا الحزب عقد مؤتمراً في عمان لدراسة الحياة الاقتصادية والوسائل الآيلة الى تطويرها . بيد ان حسين باشا الطراونة ما لبث ان عقد مؤتمراً مناوئاً دعا الى الصمود في وجه المشروعات الاقتصادية

اليهودية . وتحت تأثير هذا المؤتمر أقر « المجلس التشريعي » ، في نيسان (ابريل) ١٩٣٣ ، قانوناً حظّر بيع ايما أرض او تأجيرها للصهيونيين — او « لكل اجنبي عن البلاد »، بحسب الصيغة التي اصطُنعت عند نشر القانون في تشرين الاول (اكتوبر) . ومن هنا سقط ايضاً مشروع البنك الزراعي الذي كان اللورد ملتشت* يفكر في إنشائه مع اثنين من اليهود المصريين .

القوات البريطانية الهندية تفتح العراق

كان العراق — الذي تمتع قبل سائر الدول العربيـــة بنعمة الاستقلال — يحيا حياة سياسية من نوع خاص ، خـــلال القرون المتطاولة التي خضع فيها للحكم العثماني . ذلك بان الادارة التركية لم توفق ههنا — شأنها في مصر — الى ان تسيطر يوماً على الاحوال الداخلية العسيرة سيطرة كاملة ؛ وقد مرت بالعراق فترات استولى فيها المماليك على مقاليد الحكم ، كالذي حصل في مصر سواء بسواء. وحوالى منتصف القرن الثامن عشر جمعت قبائل البدو الضاربة على ضفاف الفرات الأدنى شملها،وعرفت باسم « المُنْتَفِق »**،في اتحاد أورث باشا بغداد متاعب جمة . وكان الشيعة المقيمون في النجف وكربلاء والكاظمين وحواليهـــا — وكلها مقدسة عندهم — على اتصال دائم وثيق باخوانهم في فارس، فهم لا يعدّون انفسهم من رعـــايا السلطان « المبتدع » الا على كره . وحتى مطلع القرن العشرين كانت الحياة الفكرية متأخرة جداً عند أهل السنّة . ومن

---

* Melchett

** وهو الصواب،على ان الشائع المتعارف الآن هو « المنتفك » . [المعرِّب]

ا نرى ان ظروف العراق كانت اقل مواتاةً – الى حد بعيد –
شوء وعي قومي عربي ، من ظروف سورية . والحق ان الضباط
لموظفين الذين تلقوا علومهم في استانبول هم وحدهم الذين تأثروا –
ن سائر العراقيين – بالافكار الحديثة . وقد اكتسب انصار
العهد » بعض الضباط العراقيين العاملين في الحاميات السورية
ادىء حزبهم ، حتى اذا آبوا الى الوطن انشأوا فيه بضعة
روع لهذا الحزب الوطني .

وفي أثناء الحرب العالمية الاولى تولى فتح العراق جيش بريطاني
ندي بعد ان رأت حكومة الهند ان عليها ان تحمي مصالحها في
لخليج الفارسي . حتى اذا استولى هذا الجيش على البصرة سارع
وظفون الحكوميون الملحقون بالحملة الى انشاء ادارة منظمة وفقاً
لاساليب التي جرى اختبارها في الهند ، وقد كان هؤلاء يعتزمون
ن يُسكنوا جاليات هندية في العراق ، وان يُدخلوا اليه زراعة
قطن . ولكن الادارة العسكرية كانت عبئاً ثقيلاً على البلاد .
قد عبّىء الفلاحون للعمل الألزامي – كما عبىء الفلاحون في
مصر – وكثيراً ما كانوا يُفصَلون عن ذويهم ويُبعدون عن
يوتهم ؛ والحق ان السلطة المحتلة حظرت تجارة المواد الغذائية ،
ي كثير من الاحيان ، الا بعد أن تكون حاجات الجيش قد
سدّت كلها . صحيح ان قبائل المنتفق كانت قد أُضعفت عن طريق
تحضير بعضها وتشجيعها على مزاولة الزراعة ، فعل مدحت باشا الذي
حاول ذلك من قبل في نجاح كبير . ولكن البدو تميزوا من الغيظ ،
كرة اخرى ، عندما طُلب اليهم ان يدفعوا الضرائب الى السلطة .

وبعد ان ارضت الحكومة بعض شيوخ القبائل حاولت ان تستميلهم وتحظى بمؤازرتهم. وكانت السلطات العسكرية قد خيبت آمال الضباط [العرب] الفارّين من الجيش التركي كما ردّت الزعماء الذين تقدموا اليها بخططهم، على اعقابهم (مثل طالب باشا [النقيب] الذي تطوّع لاشعال نار الثورة ضد الاتراك في جنوبي العراق)؛ ولم تقتصر على ذلك بل نفت [بعضهم] الى سيلان والهند ومصر.

استفتاء ولسن «الشعبي»

وما لبثت هذه السياسة التي دشنها موظفو الحكومة البريطانية الهندية ورجالها العسكريون ان أُرْدِفَتْ، بعد الاستيلاء على بغداد، بالقواعد العامة الموّجهة للحكومة البريطانية، والمبنيّة على الاختبارات الادارية في مصر وعلى سياسة لورنس في الحجاز. والواقع ان رغبة السلطة المحتلّة في الاحتفاظ بولاية البصرة، التي فُتحت قبل غيرها، تحت الادارة البريطانية الدائمة ومحاولة تغطية ذلك، في بغداد، بـ «واجهة عربية»، لم تكن لتوضَعَ موضعَ التنفيذ الا في صعوبة وعُسْر. كذلك خاب امل السلطة في حمل العرب على ان يشهروا الحرب ضد الاتراك. ولكن هدنة مودروس كفَت القيادة العليا مؤونـةَ ذلك، ومن ثمّ تعيّن على بريطانية ان تُعيد تنظيم الوضع في العراق وفقاً للتصريح البريطاني الفرنسي الصادر في ٧ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩١٨. ومن أسفٍ أن الادارة المدَنيـة حُرِمت في الوقت نفسه أقدر رجالها، السير برسي كوكس، * الذي عيّن في آذار (مارس) سنة ١٩١٨

* Percy Cox

سفيراً لدولته في طهران . وبينا كانت وزارة الخارجية البريطانية تفكّر ، بناءً على اقتراح لورنس ، في إنشاء دولتين مستقلتين في الجزيرة العليا والجزيرة الدنيا لولدَيْ الحسين الآخرين ، عبد الله وزيد، وبذلك تكافيء البيت الهاشمي — ما دامت سورية ستكون من نصيب فيصل — على خدماتـــه وَتَشُدّه في الوقت نفسه الى بريطانيـــة ، نقول بينا كانت وزارة الخارجية تفكّر في ذلك اعترض الحاكم السياسي العام ، السير آ . ت . ولسن * ، على المشروع ذاهباً إلى ان مثل هذا التقسيم متعذّر وان اياً من اولاد الشريف لن يستطيع أن يقوم للأعيان المحليين . وهكذا اقترح إجراء استفتاء مدارُهُ ما اذا كان الشعب يرغب في إنشاء دولة عربية موحّدة تحت الحماية البريطانية ، ام في تنصيب أمير عربي حاكماً على البلاد ، وفي هذه الحالة من هو المرشح المفضّل لهذا المقام . وقد أقرت هذا الاقتراح اللجنة الوزارية المختصة بشؤون الشرقين الأدنى والأوسط .

ونظراً لغلبة الأمية على الكثرة الكبرى من سكان البلاد المزارعين فقـــد اجتزأ المندوب السامي باستطلاع آراء الشيوخ ، وكبار اصحاب الاراضي في المناطق البدوية والمدن الصغيرة . وقـــد أجاب هؤلاء — شأن بعض الوجهـــاء الذين اختيروا بعناية في البصرة والموصل — بانهم يرغبون في ان تحكم البلاد ادارة بريطانية . واعلن الاكراد في توكيد قوي انه يستحيل عليهم ان يحيوا في ظل الحكم العربي . اما الشيعـــة فلم يُجمعوا على رأي

* A. T. Wilson

واحد : ففي النجف ، المتأثرة بسبب أهميتها الستراتيجية بالنفوذ البريطاني،أعلن القوم تأييدهم لبريطانية ؛بينا كفّر رجال الدين في كربلاء والكاظمين كلّ من يؤيد حكم الكفار . وفي بغداد طالب المندوبون المسلمون ، على الرغم من ان عملية الانتخاب كانت قد دُبرت تدبيراً محكما، بتنصيب احد أبناء الحسين حاكماً على البلاد.

وعلى الرغم من هذه النتيجة التي أسفر عنها« الاستفتاء الشعبي » — وهي غير مشجعة جداً — فقد اعتقد مندوب الحكومة البريطانية السياسي ان في ميسوره ان يقترح مشروع دستور ينص على ان يكون رئيس الدولة الأعلى مندوباً بريطانياً سامياً يعاونه حكام عرب يتولون امر الولايات من قِبَلِهِ ومجلس يمثل الولايات ينتخب اعضاؤه من مجالس المناطق المختلفة . وفي حين كان هذا المندوب راغباً في ضم ولاية الموصل الى العراق جاءه أمر اللورد كرزن — الذي تردد في القيام باي تعديل في الوضع الراهن قبل اختتام مفاوضات الصلح — القاضي بان يجعل من الموصل ولاية عربية مستقلة عن العراق ، ومحاطةً بسلسلة من الدول الكردية المتمتعة بالحكم الذاتي .

الحركة الوطنية تبلغ أشدها

وكان من نتائج قيام دولة مستقلة في سورية ، خلال ذلك الوقت ، (على الرغم من ان تلك الدولة لم تكن لتعيش طويلا) ان ارتفعت اصواتٌ سورية ، يساندها الضباط العراقيون الذين كانوا في دمشق ، بالمطالبة باستقلال العراق وتحريره ، في النهاية ، من الحكم الاجنبي . وما لبثت هذه الحركة الوطنية ان بلغت

ذروتها على أثر تدخل الحـــاكم البريطاني السياسي [في الشؤون العراقية] تدخلاً بعيداً عن الحكمة. ذلك بان السلطات العسكرية كانت ترغب في ان تبسط لواء الاحتلال حتى «القائم» على الفرات الأوسط، ليس غير، ولكن الحاكم السياسي أصر - بحجة الحؤول دون تقدم الاتراك - عـــلى ضرورة احتلال دير الزور الاكثر إمعاناً في الشمال، والتي كانت الحكومة السورية قد ضمتها الى ولاية حلب. فمـــا كان من الوطنيين إلا ان احتجوا احتجاجاً عنيفاً على هذا التصرّف، وحرّضوا البدو على غزو القوافل التي كانت تسير تحت حماية البريطانيين وحراستهم، غزواً متلاحقاً. حتى اذا تعيّن على البريطانيين الجلاءُ عن هـذا الموقع الأمامي النائي عُدّ هذا الجلاء نصراً للعرب، وعُزِيَ إلى خوف السلطة البريطانية من قوّات عبد الله.

وفي ٨ آذار (مارس) سنة ١٩٢٠ أعلن فرع جمعية « العهد » العسكرية عبدالله بن الحسين ملكاً على العراق. وهكذا بدا أن كل تأخير من جانب بريطانية في اعـــلان رغبتها في إنشاء حكومة وطنية يعرّض هيبتها للأذى. ولكن وزير الخارجية، اللورد كرزن، كان لا يزال في رَيب شديد من مقدرة الشعوب الشرقية على ممارسة الحكم الذاتي، وكان يعتقد فوق كل شيء بان عليه أن ينتظر قرار لجنة الانتدابات المنعقدة في سان ريمو.

وفي هذه الاثناء عهد الحاكم السياسي إلى لجنة من موظفيه الاداريين، برئاسة المستشار العدلي السير بونهام كارتر *، في أن

* E. Bonham - Carter

تدرس دراسة عميقة الطرائق التي يحسن سلوكها ابتغاء تحويل الحكومة العسكرية القائمة الى حكومة مدنية .

وقد انتهت اللجنة الى هذه النتيجة : وهي أن إقامة حكومة مستقلة يرضى عنها الشعب ، في ظل الانتداب البريطاني ، هي افضل الوسائل الى إشاعة الاستقرار في البلاد شرط أن تنبثق من مجلس تأسيسي على غرار المجلس المصري ؛ أما صلاحيات هذا المجلس الخاضع للمندوب السامي فلم تقطع اللجنة فيها برأي .

ولكن الحركة الوطنية العارمة ما لبثت أن تلاطمت امواجها كرة اخرى ، في بغداد ، اواخر نيسان (ابريل) ، عندما عهد الى بريطانية بمهمة الانتداب على العراق . فعقد في احد المساجد اجتماع شعبي كبير عهد الى خمسة عشر مندوباً في مقابلة الحاكم السياسي العام ؛ وقد تمت هذه المقابلة في ٢ حزيران (يونيو) بحضور اربعين من أعيان البلاد اختارهم المندوب بنفسه لما يعتقد من أن هواهم مع بريطانية . ولكن هؤلاء الاعيان رفضوا بدورهم أن يستمعوا الى مقترحات بونهام كارتر ، وطالبوا بضرورة عقد جمعية وطنية عراقية . وهكذا ادرك الحاكم السياسي العام ان سياسته القاضية بحكم البلاد وفقاً للقواعد المجربة في الهند دون اعتبار للرغبات الوطنية التي كان يعتقد بأنها مصطنعة اكثر منها حقيقية — قد أخفقت ؛ فاقترح استدعاء السير برسي كوكس الذي كان يتمتع وحده بمكانة في البلاد كلها تجعله قادراً على توطيد اركان الانتداب وتدعيمها .

الثورة العراقية

ولكن جو البلاد كان مشحوناً بقدر عظيم من الاضطراب

حتى أن حادثاً بسيطاً كان كافياً لاضرام نار الثورة، في ٣٠ حزيران (يونيو) ، في رقعة كبيرة من البلاد . اما هذا الحادث البسيط فكان خلافاً بين احد شيوخ القبائل وموظف سياسي بريطاني في الرُّمَيْثَة الواقعة على الفرات الأدنى. ولم يستطع جيش الاحتلال أن يخمد نيران الثورة التي امتدت في آخر ايلول (سبتمبر) من الفرات الادنى الى المدن الشيعية ومنها الى حدود فارس من غير ان تصلي بغداد ، على كل حال ، بنارها ـ نقول ان جيش الاحتلال لم يستطع ان يخمد نيران الثورة إلا بعد معارك كلفته غالياً وبعد ان أُمدّ بقوات اضافية من الهند . حتى اذا دخل السير برسي كوكس البصرة ، في غرة تشرين الاول (اكتوبر) ، بوصفه مندوباً سامياً ، كان الاضطراب لا يزال يسيطر على نصف البلاد ، ولم يكن من الممكن الأجهاز على الثورة قبل ربيع سنة ١٩٢١.

وسعى السير برسي كوكس باديء الأمر الى اقامة حكومة موقتة برئاسة احد أعيان العرب؛ وكان يساعد كوكس في مهمته الآنسة جرترود بَلّ * التي عرفت الشرق معرفة جيدة بحكم دراستها الآثارية التي استغرقت سنوات عدة ، وسنْجِن فيلبي الذي اشتهر بارتياده [للربع الخالي] وبمفاوضاته البارعة مع ابن سعود. وبعد معارضة متطاولة قبِلَ نقيب الأشراف في بغداد ، السيد عبد الرحمن الكيلاني ، رئاسة الحكومة . وأسندت وزارة الداخلية الى السيد طالب باشا الذي رجع الى الوطن ، في شباط (فبراير) سنة ١٩٢٠ بعد ان أذِنت له بريطانية بذلك ، في حين

* Gertrude L. Bell

أسندت وزارة الدفاع الى جعفر العسكري احد كبار الضباط السابقين في الجيش التركي. أما وزارة المال فوسدت الى ساسون افندي وهو يهودي يملك مصرفاً في بغداد . وقد بذلت محاولة لاكتساب الشيعة من طريق إسناد وزارة المعارف الى أحد علماء كربلاء .

في ظل فيصل

ولكن الحكومة البريطانية كانت قد أدركت ، في اثناء ذلك،انها لن تستطيع ان تمكّن لنفوذها في العراق إلا اذا نصّبت عليه ملكاً . والواقع ان اختيار احد النبلاء الوطنيين للعرش العتيد كان امراً مناسباً ، في ذاته ، ولكن أحوالاً حالت دون اختيار كل من نقيب الاشراف في بغداد ، السيد عبد الرحمن الكيلاني ، وطالب باشا النقيب ، وكانا مرشحين للعرش ؛ فأما الاول فكان ذا سنّ عالية؛ واما الثاني فكان رجلًا ذا طموح بعيد اكسبه عداوة كثير من الناس وبغضاءهم . وكان كثير من الضباط يرشحون الامير العثماني ، برهان الدين ، ولكن ذلك كان خليقاً بأن يوقع الدولة في خلافٍ مع تركية الكمالية . وهكذا حظي الرأي القائل بتتويج احد ابناء الشريف حسين ملكاً على العراق بأكبر التأييد ؛ وقد اعلن احد هؤلاء ، عبدالله ، استعداده لأن يفسح المجال امام اخيه فيصل الذي أخرجه الفرنسيون من دمشق . وأخيراً وقع اختيار ممثلي بريطانية السياسيين والعسكريين الذين دعاهم تشرشل إلى الاجتماع في القاهرة (١٢ آذار « مارس » سنة ١٩٢١) على الأمير فيصل .

فلم يكن من طالب باشا ، الدّ اعداء فيصل واعظمهم خطراً ، إلا ان هدّد – في حماقة واضحة – باستعداد أنصاره البدو للثورة اذا ما قامت الحكومة بأي محاولة للتأثير في الانتخابات ، فأُبعِدَ كرةً أخرى إلى سيلان . وبذلت الآنسة جرترود بلّ كل ما لديها من قوة ونفوذ في سبيل فيصل .

ووطيء فيصل البصرة في ٢٣ حزيران (يونيو) فاستقبله الشعب استقبالاً حماسياً في بغداد ، في التاسع والعشرين من الشهر نفسه ، في حين لم يُستقبل غير استقبال متحفظ فاتر في المدن الثانوية التي مرّ بها في طريقه الى العاصمة . وهكذا بدا من الضروري توطيد عرشه بضربٍ من الاستفتاء الشعبي . وإذ كانت السلطة غير واثقة من النتيجة التي قد يُسفِر عنها انتخاب جمعية وطنية ، فقد اجتزأت باستطلاع آراء الاعيان والموظفين في مختلف أنحاء البلاد ، تحت إشراف المستشارين البريطانيين . وعلى أساس هذا الاستفتاء أعلن السير برسي كوكس الامير فيصلاً ملكاً على العراق ، في ٢٣ آب (أغسطس) ١٩٢١ .

وأعلن فيصل في خطاب العرش [27] عن عزمه على ان يعرض على [المجلس التأسيسي] معاهدة تقيم الصلات بين العراق وبريطانية على أسسٍ جديدة . وعلى الرغم من ان الحكومة البريطانية كانت مستعدة لتلافي لفظة « الانتداب » البغيضة ، الى

---

(٢٧) تجد نصه العربي في « الثورة العربية الكبرى » لأمين سعيد ج ٢ ص ١٠٥ – ١٠٧ ؛ وتجد مقتطفات منه في ايرلند : Ireland, *Iraq*, pp. 336 — 337 .

ابعد حدّ مستطاع ، فقد عارضت كل ما يهدف الى تحديد نفوذها معارضة بالغة الشدة . وحاول اول مشروع للمعاهدة رفعتـــه الحكومة الى الملك ان يُرضي، الى حد بعيد، مطالب البريطانيين هذه؛ من اجل ذلك عارضه الوطنيون في شدة وعنف. واعتقد فيصل ، أن في استطاعته اعتماداً على هؤلاء الوطنيين التخلصَ من المراقبة البريطانية ، وهكذا قبلَ استقالة وزارته الاولى ، وكانت برئاسة النقيب [الكيلاني] في ١٤ آب (أغسطس) سنة ١٩٢٢ .

حتى إذا استغل الحزبان الوطنيان المؤسسان حديثاً ، الذكرى السنوية الاولى لارتقاء الملك فيصل العرش في سبيل القيـــام بظاهرة ضد الانتداب ، تذرّع المندوب السامي بمرض خطير ألمّ بالملك لكي يستبد بحكم البلاد . وبعـد أن نفى المندوب السامي عدداً من زعماء الاحزاب الى جزيرة هنجام الصغيرة ذات الشواطىء الشاهقة في الخليج الفارسي وأكره آخرين ، من طريق التهديد والوعيد ، على مغادرة العراق ، اضطرّ الملك الى ان يوافق ، بعد إبلاله من مرضه ، عـــلى عودة النقيب [الكيلاني] الى رئاسة الحكومة ، وتصديقه المعاهدة . بيد ان النقيب [الكيلاني] ما لبث ان قدّم بُعيد ذلك استقالته ، بطوعه واختياره ، فخلفـه عبد المحسن بك السعدون في رئاسة الوزارة .

ومن المهام العسيرة التي كان على الحكومة العراقية ان تنهض بها أيضاً مهمة وضع دستور للبلاد تتمثّل فيه امــــاني العراقيين الوطنية ومصالح بريطانية في وقتٍ معاً . وليس من شك في أنه كثيراً ما تعالت الشكوى ، في بريطانية ، من نفقات السياسة

الشرقية الباهظة ؛ بل إن طلب الجلاء عن العراق ما لبث أن اتخذ وسيلة للدعاية في حملة الانتخابات البريطانية التي عقبت سقوط وزارة لويد جورج في ٢٣ تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٢٢.
وكان العراق ينوء، بدوره، تحت عبء الادارة البريطانية التي كان رجالها يتقاضون رواتب أعلى، الى حد بعيد، من رواتب الموظفين الوطنيين. [٢٨] ولكن الحكومة البريطانية لم تكن تفكر، على الاطلاق، في التخلي عن البلاد وانما كان من همها ان تحسن الافادة من نفوذها عند الملك حيناً، بواسطة المندوب السامي، وعلى الوزراء والبرلمان حيناً آخر بواسطة المستشارين. ولما كان التدخل البريطاني واضحاً في وضع الدستور، فقد أبدى الشيعة اعنف المعارضة لانتخابات الجمعية التأسيسية التي عين شهر تشرين الاول (اكتوبر) من سنة ١٩٢٢ ميعاداً لها. والواقع أن الحكومة لم توفق الى اجراء هذه الانتخابات إلا بعد أن نفي زعماء الشيعة الى مواطنهم في فارس. ومن ثم التأمت الجمعية التأسيسية في ٥ آذار (مارس) سنة ١٩٢٤.

المعاهدة العراقية البريطانية

ولم تصدق الجمعية التأسيسية المعاهدة العراقية البريطانية إلا بعد مناقشات متطاولة تجاوزت شدتها، في بعض الاحيان، قاعة الجمعية

---

(٢٨) والحق ان الأجانب لم يكونوا، على أية حال، عاملا لا يستغنى عنه، بالكلية، في رخاء البلاد وازدهارها. يدلك على ذلك الاحصاءات الرسمية التي تشير الى تناقص الموظفين البريطانيين من ٨٧١ الى ١٦٠ موظفاً والموظفين الهنود من ٢٬٠٣٥ الى ٣٦ خلال المدة الواقعة ما بين سنة ١٩٢٠ وسنة ١٩٣١.
راجع : Ireland, p. 367, note 2.

نفسها الى الشارع ، والا بعد أن هدّدت بريطانية الحكومة العراقية بانها ستتقدم بطلب الى عصبة الامم بخوّلها اتخاذ اجراءات جديدة في العراق ، إذا لم توضع المعاهدة موضع التنفيذ . ومهما يكن من أمر فان مرونة الجمعية التأسيسية تأثرت ايضاً بالنزاع الناشب بين العراق وتركية حول ولاية الموصل ، وهو نزاعٌ ما كان في ميسور العراقيين أن يضمنوا فيه النصرَ من غير مساعدة بريطانية . وقد عرفت بريطانية كيف تستغلّ خوفَ العراقيين هذا لكي تنتزع منهم حقّ استثمار ينابيع البترول الغنية في كركوك ؛ حتى اذا حملت الأنابيب الممدودة عبر الصحراء هذا البترول العراقيّ الى ثغر حيفا الفلسطيني ، حققت الامبراطورية احدى مصالحـــها الاكثر حيويةً وخطراً في العراق . وهكذا أتبعت تسوية امتيازات الزيت بنشر الدستور العراقي ، في شكله النهائي ، في ٢١ آذار (مارس) سنة ١٩٢٥ .

وفي بروتوكول معاهدة ٣٠ نيسان (ابريل) سنة ١٩٢٣ مع بريطانية اتُفق على ان تنتهي مدة المعاهدة عند انضمام العراق الى عصبة الأمم . وحتى ذلك الحين ، تعهدت بريطانية بان تدرس كل اربع سنوات – طوال خمسٍ وعشرين سنة – امكانيةَ ترشيحها العراق لعضوية عصبة الامم ، ومـــا اذا كانت الاتفاقات المتصلة بالمالية والجيش تحتاج الى تعديل . حتى اذا انقضت المرحلة الأولى ، سنة ١٩٢٨ ، شخصَ فيصل وكبير وزرائه جعفر العسكري الى لندن حيث سَعَيا في سبيل إقناع الحكومة البريطانية بان العراق امسى من النضج في محل يؤهله للانتظام في صفوف اعضاء العصبة ؛

ولكنّ الحكومة البريطانية وعدتها بتحقيق ذلك سنة ١٩٣٢ . فلما تولى حزب العمال الحكم، انتعشت آمال العراقيين - كما انتعشت آمال المصريين - في ان تتفهم بريطانية رغباتهم الوطنية وتعمل على تحقيقها . والحق ان الحكومة الجديدة لوّحت بأملها أن تتبنى إدخال العراق في عصبة الأمم عند حلول عــام ١٩٣٢ وأعلنت استعدادها لعقد معاهدة جديدة مع العراق، ومع مصر ايضاً. وعلى الرغم من ان الوطنيين احتجوا في عُنفٍ على التحفظات البريطانية - القاضية بوضع موارد العراق تحت تصرّف بريطانية في حــال الحرب والأفادة الدائمة من القواعد الجوية - فقد كان البرلمان العراقي الجديد على استعداد لان يصدّق المعاهدة ، في ١٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ، ومن ذلك الحين بدأت بريطانية فعلاً في تصفية جهازها الاداري في البلاد . وبعد ان تعهد العراق في ٣٠ نوار (مايو) سنة ١٩٣٢ بأن يحترم حقوق الاقليات وبأن يطبّق نظاماً قضائياً موحداً على جميع الرعايا العراقيين وعلى جميع الأجانب على السواء ، قُبل عضواً في عصبة الامم في ٣ تشرين الاول (اكتوبر) من السنة نفسها .

فتنــة الاشوريين

وكدّرت صفوَ السنة الاخيرة من عهد فيصل مشكلة خطيرة. ذلك بان البقية الباقية من الاشوريين [٢٩] الذين نجوا من الهلاك على ايدي اعدائهم القدماء ، الاكراد ، كانوا بعد عقد الصلح بين

---

(٢٩) الاشوريون هم النساطرة الناطقون بالسريانية، وقد ثاروا في الحرب العالمية الاولى على الاتراك .

الحلفاء ودول الوسط يقطنون ولاية الموصل ، وكانوا يعاملون معاملة حسنة بشكل خاص من جانب السلطة البريطانية المنتدبة، نزولاً عند رغبة رجال الدين الانكليكان ، ولأنهم أثبتوا صلاحهم للخدمة العسكرية ايضاً . ووضع هؤلاء الاشوريون ثقتهم بهذه الضمانة فدخلوا في خدمة البريطانيين العسكرية بوصفهم قوات مرتزقة واشتركوا اشتراكاً فعلياً في الحرب ضد جيرانهم الاكراد لاخماد عدد من ثورات هؤلاء المتعاقبة فكسبوا عداوتهم المرة . فلما تقلص النفوذ البريطاني افتقدوا تلك المعاملة الخاصة التي ألفوها فلم يكن منهم إلا أن انساقوا ، في تهوّر وطيش ، إلى الثورة على الحكومة الوطنية ، ولكنّ الزعيم (الكولونيل) بكر صدقي أخمد ثورتهم هذه بقسوة بالغة .

وتوفي فيصل في ٨ ايلول(سبتمبر)سنة١٩٣٣ فكان في موجة الحزن التي عمت العراق لدن نعيه ما يشهد على ان القوم كانوا يلمسون في حكمه فائدة كبرى للبلاد. ومع أن مشورات المندوبين السامين البريطانيين وارشاداتهم كانت تحول بينه ،في بعض الاحيان، وبين القيام بخطوات بالغة الجرأة ، إلا إنه يستحق ، من غير شك ، الثناء لِما وفّق اليه من تدعيم سلطة العرش الذي رَقيهُ - على كل حال - كرجل غريب عن البلاد ، وفي ظروف دقيقة صعبة إلى ابعدالحدود. والحق أن حنكته الكبيرة مكّنته من أن يجد - وسطَ الشعب العراقي غير المتجانس اجتماعياً ودينياً - مستشارين مستعدين دائماًلان يؤيدوا خطته السياسية التي اختيرت منذالبدء اختياراً صالحاًوالتزمت التزاماً كاملاً والتي تهدف الى السير بالبلاد نحو الحياة

السياسية المستقلة والرخاء الاقتصادي مع المحافظة على الاساليب البرلمانية والاعتراف بمطالب بريطانية ، لا سيا وان البلاد لم تكن قد اصبحت بعد في غنى عن الحماية البريطانية . والكثرة الكبيرة من الوزارات التي ألفت في عهده إنما كانت تتلقى أوامرها منه لا من البرلمان ؛ ولم يتدخل مرة في شؤون الحكومة إلا وكان ذلك التدخل لمصلحة البلاد . ولقد استطاع فيصل ان يحسّن صلاته ، بوساطة بريطانية ، مع خصم أسرته القديم ، عبد العزيز ابن سعود ملك نجد والحجاز ، الذي كان ينزع في وقت من الاوقات الى بَسط سلطانه في اتجاه الشمال ، على حساب جاره الهاشمي . وهكذا صار في الامكان أن يعقد العراق ، في ٢١ نيسان (ابريل) سنة ١٩٣٦ ، وفي عهد غازي بن فيصل ، معاهدة صداقة مع الملك السعودي .

الملك غازي الاول

رقيَ غازي الاول العرش في الحادية والعشرين وهي سنٌّ لم تكن لتؤهله لمواصلة عمل أبيه ، بالنجاح نفسهِ . والواقع ان أولى محاولاته ، بعد ارتقائه العرش ، لتشكيل حكومة جديدة قد اخفقت بسبب العداء المستحكم بين مستشاريه البريطانيين ومستشاريه العراقيين ، ومن هنا لم يكن له تأثير حاسم في التقلبات الحكومية التالية أيضاً . وقد تجلى اضطراب الوضع السياسي الذي عانته البلاد ، في انقلاب ٢٩ تشرين الاول (اكتوبر) العسكري . وتفصيل ذلك أن قامع فتنة الاشوريين ، بكر صدقي الذي سبق للملك أن رقاه ، بدافع من حماسة الشباب واعجابه بأعماله البطولية ،

الى رتبة فريق ،هاجم العاصمة بجيوشه وطائراته ،بينما يقوم بمناورات عسكرية ، بالقرب من بغـــداد ، لكي يُسقط وزارة ياسين باشا [الهاشمي] المتّهم بانه ذو نزعات رجعية . وفي اثناء المفاوضات اغتيـــل وزير الحرب جعفر باشا [العسكري] ، وكان شيخاً كبيراً يتحلى بمواهب عالية . وبعد انسحاب ياسين باشا تقلد زمام الحكم حكمت سليمان ـ اخو محمود شوكت باشا كبير وزراء تركيـــة سنة ١٩١٣ ـ وأعوان بكر صدقي . واذا كان ياسين الهاشمي قد جاهر غــير مرة بأعجابه العظيم بأتاتورك فالحق أن العراق لم يشهد محاولة جادّة بسبيل اتباع اساليب اتاتورك إلا في عهد الحكومة الجديدة . ولكن الاوضاع في العراق كانت غيرها في تركية .فقد كانت تركية غير خاضعة لايما سلطان اجنبي وكان شعبها متجانساً متراصاً .أما العراق الخاضع لرقابة بريطانية واشرافها فقد تعيَّنَ عليه ان يتابع النضال في كثير من الصعوبة والعُسر ، في سبيل حلّ مشاكل الاقليات واقامة التوازن بينها ، والعمل على تعمير الداخل ، وتدعيم الوضع المالي .

الحياة العقلية في العراق

هذه السنوات العاصفة لم تكن مواتية ، عـــلى الخصوص ، لازدهار الحياة الفكرية في العراق . وإذ كانت العناصر الاهلية الشيعية والسنية ، المتنافسة في احياء تراث البلاد الادبي القديم ، خاضعةً لسلطان هذا التراث خضوعاً هو اقرب الى العبودية ، فقد وجهت الحكومة وجهها ، في المحل الاول ، نحو سورية ومصر لتجتذب ممثلي الثقافة الحديثة الى البلاد ، ولكن هؤلاء نادراً ما

استطاعوا الاحتفاظ بمناصبهم فترات طويلة لشدّة حساسية العصبية العراقية . وهكذا فُصِل سنة ١٩٢٧ احد الاساتذة السوريين الشباب من عمله كمدرس التاريخ في دار المعلمين ببغداد لانه وضع كتاباً مجّد فيه الامويين * . ومهما يكن من أمر فقد أخذت روح الثقافة الحديثة تقتحم بتأثير الصحافة المصرية أبواب العراق ، شيئاً بعد شيء ، محاولةً أن تنتزع الميدان من المحافظين وخاصة في حقلي الشعر والتأريخ .

* هو الاستاذ انيس زكريا النصولي صاحب كتاب « الدولة الأموية في الشام » مطبعة السلام ، بغداد ، ١٩٢٧ . [العريان]

فارس وافغانستان

●

الروس والبريطانيون في فارس بعد الحرب العالمية

كانت الفوضى تسيطر علـــى بلاد الفرس كلها ، تقريباً ، بُعَيد انقضاء الحرب العالمية الأولى . صحيح ان البلاشفة تخلوا عن جميع مكاسبهم وعن مطامع الحكومة القيصرية في البلاد إثر معاهدة برست ليتوفسك * مباشرةً ؛ ولكن البريطانيين احتلوا ، في الحال ، المناطق التي جلت عنها الجيوش الروسية . وفي ٩ آب (اغسطس) سنة ١٩١٩ وُفّـــق السير برسي كوكس الى عقد اتفاق مع فارس أُخضعت بموجبه الحكومة والجيش ، على غرار الحـــال في مصر والعراق ، لسلطة « المستشارين » البريطانيين . وفي الوقت نفسه كان في باريس وفدٌ فارسي يسعى ، على غير طائل ، ومن غير تعليمات كافية من حكومته ، الى اثارة انتباه الحلفاء وكسب عطفهم ، في حين كان هؤلاء منهمكين في النزاع على مصير العالم .

ولكنّ البلاشفة ايضاً ما لبثوا ان استأنفوا نشاطهم في

---

* Brest — Litovsk

فارس . فبعد احتلال باكو في نوار (مايو) سنة ١٩٢٠ تعقّب البلاشفة عمارة بحرية صغيرة تحت إمرة الجنرال الروسي الابيض دنيكين * كانت قد فزعت الى ثغر أنزَلي الفارسي الواقع على بحر قزوين ، حيث جرّدها الفرس من السلاح ؛ وقـد قصفوا الثغر بنيرانهم وطـاردوا القوة البريطانية المتقهقرة داخل البلاد حتى «رشت» ، حيث اقاموا حكومةً موقتة برئاسة كوچك خان . والواقع انهم كانوا قـد شرعوا يتهدّدون طهران ، عندما استولت فرقة القوزاق الفارسية على رشت ، لتنسحب بعدُ الى ما وراء الخطوط البريطانية .

وقـد عزا ضباط القوزاق الفُرسُ هـذا الأخفاق ، ولعلّهم لم يَعـْدُوا الحقّ ، الى رفاقهم الروس . وكان بين هؤلاء الضباط رضا خان المازَنْدَراني وهو ابن ضابط برتبة « سرتيب » (قومندان) ، وقد وُلد في سَوَادُخ ، في ١٦ آذار (مارس) سنة ١٨٧٨ . وكان رضا خان قد اشتبك مع الروس في معركة صغيرة عندما سرّح ، تنفيذاً لأوامر حكومته ، ضابطاً روسياً كان قد رفض أن يتخلى عن منصبه . ليس هذا فحسب ، بل لقد عدا ذلك الى تسريح الضباط الروس جميعاً بالحزم ذاته ، والى إنشاء حرس خاص بنفسه مخلص له كلّ الاخلاص ، من أفراد كتيبة القوزاق التي استعادت بفضله مكانتها العسكرية .

وبينا كان البريطانيون لا يزالون يفكّرون في التخلي

* Denikin

نهائيا عن مركزهم المتقلقل في فـارس كان السفير الفارسي « مشاور الممالك » يفاوض شيشرين * في موسكو لعقد معاهدة تخلت الروسيا ، بموجبها ، عن جميـع ممتلكاتها في الاراضي الفارسية ، وتنازلت عن جميع حقوقها الناشئة عن الامتيازات القديمة .

رضا خان يزحف على طهران

وكانت حكومة طهران ، وعـلى رأسها الشاه احمد [القاجاري] ، عاجزةً عن رسم خطةٍ سياسية واضحة تتمشى عليها ؛ من أجل ذلك عزمَ ضباط القوزاق في قزوين ، نزولاً عند رغبة رضا خان ، على التدخل في العاصمة . وحسب الضبّاط ان حركتهم هذه في حاجة الى أديب ذرب اللسان ، بليغ البيان ، فاذا هم يقعون عـلى ضالتهم المنشودة في شخص السيد ضياء الدين . وفي ٢ شباط (فبراير) بلغ رضا خان وجنوده — وعدّتهم ٢٥٠٠ رجـل — ابواب العاصمة ليفرض على الشاه حكومةً جديدة . وبعد معركة قصيرة مع رجال الدرك انضمّ قائدهم السويدي الى صفوف القوزاق . فلم يكن من الشاه — وكان قـد بدأ يستشعر الخوف على ذاته — الا ان وافق من غير ما معارضة على تشكيل حكومة جديدة برئاسة ضياء الدين الذي سارع الى محاسبة الحكام السابقين الذين لم يكن لهـم همّ غـير الأثراء على حساب الشعب ، وصادر اموالهم التي جمعوها

---

* Chicherin

بطرق غير مشروعة وردها الى خزينة الدولة . وعيّن رضا خان وزيراً للحرب وقائداً أعلى (سَرْدار سپَه) فتفرغ في همة لا تعرف النَّصَب ، لتحويل بقايا الجيش المتفرقة في البلاد ، بالاضافة الى كتيبته القوزاقية ، الى جيش حديث مستعدٍ للقتال . حتى اذا اراد رئيس الوزراء ، ضياء الدين ، ان يفرض على هذا الجيش مدرّبين بريطانيين ، تخلّص رضا خان منه وحمل الشاه على ان يعهد في رئاسة الحكومة الى قوام السلطنة ، احد حكّام الولايات المعتقلين .

النضال ضد الثوار

ولكن حكام الولايات أقاموا على رفضهم الخضوعَ للسلطة المركزية الجديدة . ففي جيلان كان على الحكومة أن تقضي ، لا على كوچك خان الذي كان الروس قد نصّبوه هنالك فحسب ، بل على عددٍ من زعماء العصابات الآخرين المؤيدين من جانب الروسيا أيضاً . وفي آذَرْبَيجان أعلن احد زعماء الاكراد الجمهوريةَ ، وكان الحزم يقتضي الحكومة ان تعجل في إخماد فتنته قبل ان يستشعر البلاشفة ان من مصلحتهم الوقوف إلى جانبه . وخــلالَ سنتي ١٩٢١ و ١٩٢٢ أخضع رضا خان ، في حرب العصابات المدمرة التي خاضها ضد الثوار ، الاجزاء الشمالية من البلاد ؛ وفي سنة ١٩٢٣ تدخّل أيضاً في الجنوب حيث كان البريطانيون قد قضوا على هيبة الحكومة المركزية قضاء كاملاً .

وكان رضا خان لا يَأبه ، وهو في ميدان القتال ،

بما كان يدبر في العاصمة من مؤامرات أدت ثلاث مرات إلى زحزحة رئيس الحكومة من منصبه ليحلّ محله رجل آخر . حتى اذا اكتشف في تشرين الاول (اكتوبر) مؤامرة كان قوام السلطنة يدبرها القضاء على حياته هو (اي رضا خان) تولى رئاسة الوزارة بالاضافة الى وزارة الحرب . أما الشاه الذي كان ، شأنَ أسلافه ، لا يفكر في غير مصلحته الشخصية ، فقد رأى من الخير له أن يتهرّب من أداء واجباته برحلة يقوم بها ، في أوروبة ، فترةً غير محدودة من الزمان .

أزمـــة دستورية

والواقع ان وَضع رضا خان كان يُشبه وضع مصطفى كمال الى حدّ بعيدٍ حتى ليتوقع المرء منه أن يسلك مسلك زميله التركي من حيث القضاء على السلطنة وإلغاء الخلافة . ولكن رضا خان كان من الحصافة بمحلٍّ جعله لا يغالي في تقدير قوته في بلاد هي من الناحية القومية ، ابعد ما تكون عن الوحـــدة ، وهي من الناحية الدينية غير متراصّة على الرغم من ان الشيعة يؤلفون كثرة سكانها . وهكذا التزم جانب الحذر عندما صدرت الدعوة الى اعلان الجمهورية ، سنة ١٩٢٤ ، من جهتين : فبينما كان « حزب النهضة » الممثل في المجلس يعتقد ان في إمكانـــه حمل البرلمان في ما بعد على تعديل الدستور بما يتفق وميوله الجمهورية ، ناضل المجتهد الشيعي محمد الخالصي ، الذي كان البريطانيون قد نفوه من النجف ، في سبيل إجراء انتخابات جديدة تنبثق عنها « جمهورية شعبية » ، ولعله فعـــل ذلك

تحت تأثير النفوذ البلشفي . وفي آذار (مارس) سنة ١٩٢٤ جرت حول مسألة الدستور مناظرات عنيفة في المجلس ترددت أصداؤها في ضروب الشغب الشارعي والاضرابات العامة . والحق ان رضا خان عالج القضية الجمهورية بحنكة وكياسة ظاهرتين . فقد قصدَ الى مدينة قُمّ المقدسة حيث كلفه رجال الدين فيها — وكانوا يتمتعون باحترام عظيم في طول البلاد وعرضها — أن يدافع عن الاسلام ، بوصفه الأساس الذي تقوم عليه الدولة ، ضد الثورة الحديثة . حتى إذا أصدر بياناً من هناك فلم يلق آذاناً واعية استقال من مناصبه ، ورجع في ٨ نيسان (ابريل) الى رُوذَان . عند ذلك هدّد قوادُه بالزحف على طهران ؛ وفي الحال شخصت بعثة من المجلس لمقابلة رضا خان تلتمس منه العودة . ووجد المجلس نفسه مضطراً الى اعلان ثقته به ، فتقلد أَزمّة الحكم من جديد . وبعد أن اخضعت قواته ثورة كانت قد اندلعت في اثناء ذلك بين اللور ، أفرغ همته كلها في سبيل انشاء الجيش وتعزيزه ، مزوّداً إياه بالاسلحة الحديثة التي استوردها من المصانع الفرنسية .

وكانت خوزستان ، الآهلة بكثرة من العرب ، آخر الولايات خضوعاً للحكومة المركزية . وتفصيل الأمر أن بريطانية كانت قد وضعت يدها على آبار البترول في هذه الولاية منذ سنة ١٩٠٥ من طريق معاهدة عقدتها مع الشيخ خزعل أمير المحمّرة .وكان الجيش البريطاني الهندي قد

احتلّ جنوبي العراق ، عند نشوب الحرب العالمية الاولى ، صيانةً لانابيب البترول المنتهية في عبادان ، على فم شط العرب ، والتي تُمِدّ السفن البريطانية العاملة في المحيط الهندي بحاجتها من الوقود . والواقع ان حكومة طهران منحت ، في ذلك الحين ، شركةَ الزيت البريطانية الفارسية امتيازَها ، ولكن بريطانية كانت قد عقدت معاهدة خاصة مع الشيخ خزعل الذي كان يحكم الضفة اليُسرى من شط العرب بكاملها ومياه نهر قارون الدُّنيا الصالحة للملاحة ابتداء من الاهواز [حتى المحمرة في الجنوب] ، ووعدته بمساعدة عسكرية إذا ما تعرّض لأي اعتداء . ومع ذلك فقد تقاعست عن تطبيق المعاهدة عندما دعاه رضا خان الى أداء الضرائب المتأخرة . وحاول خزعل ، العجوز ، تحريض قبيلة البختيارية — التي انتزعت السلطة فترة من الزمان أثناء الثورة الفارسية — على رضا خان ، ولكن عبثاً . حتى اذا زحف هذا الأخير على رأس قواته الى خوزستان لم يبقَ امام الشيخ ما يستطيع ان يفعله غير الاستسلام . وعلى اثر هذه الحملة التي لم تُرَق فيها الدماء والتي أعادت الامبراطورية الايرانية الى حدودها القديمة حجّ رضا خان الى مدن الشيعة المقدسة في العراق .

خلع الشاه أحمد

وعلى الرغم من هذه الانتصارات المؤزّرة التي تمت للسردار سبه بهلوي (كما اراد رضا خان ان يُدعى ، منذ ذلك

الحين ، بعد ان اصطنع اسم أسرته القديم) فقد تعلّق الشاه أحمد ، المقيم في باريس ، بآمالٍ فارغة خيّلت له أنه لا يزال في ميسور ابنه محمد حسن ميرزا ، الذي بقيَ في طهران ، أن يجمع شمل أنصار القاجار للقيام بحملة تكون في صالحهِ . ومع أن المجلس لم يؤيد اقتراحاً عُرض عليه بضرورة دعوة الشاه الى العودة فقد جرؤ في غرة تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٢٥ على ان يحيط رئيس الوزراء علماً بأنه مزمع على القدوم الى الوطن . فلم يكن من رضا خان إلاّ ان كتب الى الشاه ، في كثير من الحصافة ، مُرحباً بعزمه هذا ، وإلاّ أن اذاع النبأ في طول البلاد وعرضها من طريق الرسائل والمناشير . والحق ان ولاية آذربيجان هي التي تزعمت هذه المرة ايضاً الحركة المناوئة القاجار . وقد بدأت هذه الحركة ، اول ما بدأت ، باعتصام الثائرين في المساجد (بَسْت) وفقاً للمألوف عندهم في حال الثورة . أما أنصارهم في طهران ، فقد اعتصموا في الكلية الحربية ، وامطروا رئيس الوزراء البهلوي وابلاً من الرسائل يطلبون فيها ان يحول دون عودة الشاه البغيض . وأخيراً اجتمع المجلس في ٢٨ تشرين الاول (اكتوبر) للمناقشة في اقتراحٍ يقضي بخلع الشاه وتحويل السلطة التنفيذية الى رئيس الوزراء ريثما تقوم جمعية وطنية جديدة بوضع دستور البلاد جديد . وعلى الرغم من ان بطل الدستور العجوز ، النائب تقي زاده ، قد تدخـــل كرة أخرى للدفاع عن

الدستور دفاعاً جريئاً ، فقد أقرّ المجلس الاقـتراح ، إثر مناقشة قصيرة . وفي اليوم نفسه أخرج رضا خان ولي العهد من قصر گلستان ، مُبعداً إياه الى بغـــداد ، من طريق قزوين .

رضا پهلوي يتوج شاهاً على ايران

وفي سبيل الحفاظ على الشكل ، تناقشت الجمعية الوطنية الجديدة طوال ستة أسابيع في الدستور الجديد الذي اصطفى رضا شاه پهلوي عاهلاً ووارثياً على إيران ، ريثما يُقسم يمين الولاء للدستور الجديد في المجلس ، في ١٥ كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٩٢٥ . وفي نيسان (ابريل) سنة ١٩٢٦ ارتقى رضا « عرش الطاووس » المتألق بجواهر يرجع عهدها الى حملة نادر شاه على الهند .

وإنما كان ذلك ايذاناً ببدء عهد من التقدّم والرقي في ايران التي استطاعت ان تعوض ، في مدى عقدٍ واحد ، ما قد أهمل في قرون . فقد وفق الشاه الجديد الى ان يداري ، بحكمة ، أحاسيس رجال الدين الشيعة الذين ما فتئوا يتمتعون بنفوذٍ كبير ، كما وفّق الى ان يقود ، في الوقت نفسه ، الشعب الايراني في معارج الحضارة الحديثة . والحقّ ان هذا الجندي المحنك أقام الدليل عـــلى انه رجلُ دولةٍ من الطراز العالي استطاع ان يضع موضع التنفيذ إصلاحاتٍ ذات فائدة في جميع ميادين الحياة السياسية . وكان «المجلس» لا يزال قائماً اسمياً ، بيد أنه لم يبق له من عمل غير قبول

القوانين التي يسنها الشاه . وادرك رضا شاه ، في تَبَصّر جـــازم ، أنّ رَبْط أجزاء البلاد بعضها ببعض من طريق وسائل جديدة للمواصلات يجب ان يكون اساساً يقوم عليه كل اصلاح ؛ وهكذا نشطت الحكومة ، سنة ١٩٢٥ ، لبناء السكك الحديدية مُنفقةً في هذه السبيل عائداتها من الضرائب المفروضة على مادتي الاستهلاك الرئيسيتين ، أعـــني الشاي والسكر ، وهي اعظم العائدات التي تجنيها الدولة عـــلى الاطلاق . وانما بدأت بانشاء الخط الشمالي الجنوبي الممتدّ من بَنْدَر شاه – وهي أَنْزَلي قديماً – على بحر قزوين حتى بندر شابور ، عـلى الخليج الفارسي ، شركة ج . برجر * الالمانية سنة ١٩٢٩ وأتمّته ابتداء من سنة ١٩٣٣ شركة كامبساكس ** الهولندية السويدية . والحق ان هـــذه الانشاءات التي تُعَدّ احدى معجزات التقنية *** الحديثة استطاعت ان تذلّل ، خلال ثلاث سنوات ، جبال الشمال بخمسة وسبعين نفقاً وعـددٍ كبير من الجسور ؛ وفي ٥ حزيرانَ (يونيو) سنة ١٩٣٧ صار في الامكان تدشين ذلك الجزء من الخط الممتد حتى طهران على مسافة ٤٦١ كيلو متراً يَستغرق اجتيازها خمسَ عشرة ساعة . ويستطرد الخط سبيلَهُ عبر قُم وسُلطان آباد مجتازاً مائة وخمسين نفقاً في جبال زَارگز **** أما الخط الذي بديء بانشائه في الوقت

---

* J. Berger ** Kampsax *** التكنيك

**** Zagros ذكرت هذه الجبال في الجزء الاول ص١١٦ حيث ضبطت

نفسه من الخليج الفارسي فقد رُبط بالخط الشمالي في ٢ آب (اغسطس) سنة ١٩٣٨ .

الاصلاح المالي

وفي سنة ١٩٢٧ أعيد تنظيم الحياة المالية . فعُهد الى البنك الوطني (بنك مِلّي) في إصدار الاوراق المالية بدلاً من البنك الامبراطوري المؤسس سنة ١٨٩٠ ؛ والوحـــدة النقدية الفارسية هي الريال ، وتعادل قيمته أربعة سنتات ذهبية . وقد بلغت اوراق النقد المتداولة سنة ١٩٣٧ ثمانمائة مليون ريال . وفي تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٣٢ نُشِرت الاتفاقية المعقودة مع شركة النفط البريطانية الفارسية التي تستخدم ، في خوزستان ، عشرين الف عامل ايراني ؛ وهـــي في صيغتها الجديدة تضمن للدولة نصيباً من انتاج الشركة وعائداتها .

وفي سنة ١٩٢٨ الغيت الامتيازات الاجنبية — التي لا تتفق وكرامة الدولة الحديثة — عـــلى الرغم من معارضة بريطانية العنيفة لذلك . وبدلاً من القانون الديني [الشريعة] الذي كان نافذاً وحده حتى ذلك الحين ، وُضع موضعَ التنفيذ قانون مَدَني جديد وآخر للعقوبات ؛ وقد بُنيا على الأساس الفرنسي .

وعرفت فارس ، في عهدها الجديد ، عناية خاصة بالزراعة .

« الصقر » . اما المتعارف الآن في فارس فما ضبطناه هنا « زاركز » بالكاف الفارسية المضمومة . [المعربان]

وكان حتماً على الدولة ان تحضّر البدو الذين انتهى تأخرهم في كثير من الاحيان إلى ان يكون خطراً عليها ؛ من اجل ذلك وُزّعت عليهم سنة ١٩٣٧ ، الأراضي الاميرية الواقعة قرب بوشير (بو شهر) . ونَشَرَت المدارسُ الزراعية والمزارعُ النموذجية الاساليبَ الحديثة في استغلال الأرض واستثمارها . وفي سنة ١٩٣٤ وزعت الحكومة مليوني نبتة شاي في البلاد . ليس هذا فحسب ، بل لقد جَعلت اليوم الخامس عشر من شهر آذار (مارس) مهرجاناً للشجرة ، لكي تربط الفلاحين بالارض ، برباط روحي أيضاً .

وتغلب الفُرس ، منذ سنة ١٩٢٦ ، على عقبــــة من أصعب العقبات الحائـلة دون تقدمهم ، أعني تخلّف المرأة عن مجاراة روح العصر ، تخلفاً اقتضته العادات الدينيـــة والاخلاقية ، وذلك بألغاء الـ « چادُر » وهو اشد أشكال الحجاب صرامةً ؛ حتى اذا كانت سنة ١٩٣٦ بطل الحجاب نهائياً في فارس . وفي سنة ١٩٣٥ أسست الأميرة شمس بهلوي أول النوادي النسائية وأول فرق البنات الكشفية . وفي السنة نفسها أصدرت الحكومة قانونـاً جديداً للزواج رفع الحد الأدنى لسنّ الفتيات المرشحات للحياة الزوجيـة إلى الخامسة عشرة ، ومنح المرأةَ حق الطلاق إذا ما رغب بعلها في الزواج من امرأة اخرى .

ونمت الحركة التعليمية نمواً مطرداً . ففي سنة ١٩٣٥ تخرجت من المدارس الايرانية ٢٬٢٥٣ فتاة ، إلى جانب ٦٦٢١

فني . وفي ٤ شباط (فبراير) ١٩٣٥ افتُتحت في طهران جامعةٌ تنتظم كلية العلوم الطبيعية ومعهداً موسيقياً (كونسرفاتوار) ؛ وقد نهض بعبء التدريس فيها ، عدا الاساتذة الوطنيين ، نفرٌ من الاساتذة الأوروبيين . ليس هذا فحسب بل لقد أنشأت الحكومة ، في تلك السنة نفسها ، المجمعَ (الاكاديمية) الأيراني ، « فَرْهَنْكِسْتَان » المؤلف من سبعة وثلاثين عضواً ، والذي قُصِد منه إلى ان يعمل - شأن مجمعي دمشق والقاهرة - على تنقية اللغة قبل كل شيء . وعرَف الأدب الفارسي - الذي كاد يذوي في عهد القاجار رغم عبقرية الايرانيين - نهضة قوية في العهد الجديد ، فأخرج ثمرات مُرضية وبخاصة في حقل التأريخ . والواقع ان الاعتزاز بتراث إيران الفكري الخصب كان له ابعد الأثر في تعزيز العِزّة القومية عند الايرانيين ؛ وقد تجلى ذلك اوضح ما يكون في الاحتفال بالذكرى الالفية لميلاد شاعرهم الكبير الفِردَوْسي ، سنة ١٩٣٤ . ولكن تاريخ البلاد السابق للاسلام كان قد اكتسب هو الآخر عناية الفرس من مهندسين وفنانين وصناع ؛ فلما أعيد تشييد البنك الوطني في طهران ذهبت الجرأة بالمهندس المعمار الى حدّ حاول فيه ان يحذو حذو الفكرات المعمارية التي تتمثل في ايوان كسرى في عاصمة الساسانيين ، المدائن .

وفي صعيد السياسة الخارجية وفّق رضا خان بهلوي

الى أن يعزّز ، بالاضافة الى مصالح بلاده ، الحياة الثقافية والدينية في الشرقين الادنى والاوسط . وفي سنة ١٩٢٥ عمدَ ، عقب تقلده أزمّة الحكم مباشرة ، إلى تعيين حدود بلاده تعييناً رسمياً ، في الجنوب والجنوب الشرقي بمعاهدات عقدها مع البريطانيين في بَلوخِستان ومع الحكومة الافغانية . وفي حزيران (يونيو) سنة ١٩٣٤ انشأ علاقات شخصية مع أتاتورك من طريق زيارة قام بهـا الى أنقرة . وفي ٨ تموز (يوليو) سنة ١٩٣٧ عُقـدت ، في سَعد آباد (مقرّ الشاه الصيفي ، الباعدة ستة عشر كيلو متراً شمالي طهران) معاهدة مع تركية والعراق وأفغانستان ، لمدة خمس سنوات ، ضمنت بموجبها كلٌّ من الدول الاربـع حدود الدولة الاخرى ، وتعهدت بالامتناع عن كل تدخّل في شؤون الدولة المجاورة الداخلية ، كما تعهدت هذه الدول جميعاً بان تحلّ ايما خلاف قد ينشأ في ما بينهـا من طريق المفاوضات السلمية ، وان لا تعقد أيما محالفات عدوانية مهما تكن مع الدول الاخرى . وشدّ الزواج الذي مهد له الشاه بـين وليّ عهده والاميرة [فوزية] * المصرية اواصرَ الصداقة بين هاتين الدولتين الاسلاميتين بعـد أن استعادتا حريتهما واستقلالهما .

افغانستان في العصر الحديث

ولعبت جارة إيران الشرقية ، افغانستان ، — منذ

* وقد تم الطلاق بينهما مؤخراً . [المعربان]

الحرب العالمية الاولى – دوراً ناشطاً في وقاية العالم الاسلامي من خطر الغرق في خضمّ الروسيا والخضوع لسلطان بريطانية .

والواقع ان آخر محاولة قامت بها بريطانية لاخضاع البلاد انتهت سنة ١٩١٩ الى انتصار ديبلوماسي احرزته افغانستان – برغم هزيمتها العسكرية – إذْ تخلّت بريطانية نهائياً عن فكرة الاستيلاء على هذه البلاد . وكان على الروسيا ان تتخلى بدورها عن خطتها القاضية بأدماج افغانستان في حلقة الجمهوريات التركية السوفياتية التي اسستها ؛ وقد فقدت ، من غير شك ، والى الأبد ، كل امل في اجتذاب افغانستان الى فلكها الثقافي نتيجةً للدعاية الألحادية التي اخذت في بثّها في البلاد الاسلامية أيضاً ، والتي اكرهت كثيراً من المؤمنين على الهجرة الى افغانستان . وتعرّض مركز السلالة المالكة للخطر ، فترةً من الزمان ، بسبب خطأ ارتكبته . وتفصيل ذلك ان الامير أمان الله خَلَفَ أباه الشاه حبيب الله الذي قتله الثوار في ٢٠ شباط (فبراير) سنة ١٩١٩ بقيادة أخيه نصر الله . وقد وُفق الى إخضاع ثورتي الأزاي في سنة ١٩٢٣ ، والمنكل سنة ١٩٢٤ ، كما اخضع ثورة الباتان الذين عاشت كثرتهم في الهند تحت الحكم البريطاني . ولكن حماسته في سبيل الاصلاح – من غير ما روية ودونما تدرّج – كلّفته عرشه . ذلك بأنه سعى لرفع بلاده ، اسوةً بأتاتورك ورضا بهلوي ، الى مراتب الدول المتمدنة – دفعةً واحدة – من طريق تعريفها بجميع

مبتكرات العـــلم الحديث ، وإجراء الاصلاح في الأدارة والقوانين ، والنهوض بالنظم التعليمية ، وبالعمل ـ فوق كل شيء ـ على انشاء جيشٍ نظاميّ . بيد ان النقمة الـــتي احدثتها هذه التدابير في نفوس رعيته ـ ولم تكن عـــلى نضج يمكنها من تمثّل تلك الحركة ـ ما لبثت ان تفجرت سنة ١٩٢٨ في اثناء رحلته الى اوروبة لاعـــداد العدة للاصلاحات الجديدة . حتى اذا رجع مسرعـــاً الى وطنه حاول ـ ولكن على غير طائل ـ إخضاع الثورة التي كان قائدها باجا سقا ، قد استخلص البيعة لنفسه وتلقّب بحبيب الله الثاني . وفي كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٢٩ اضطر أمان الله الى التخلي عن العرش ومغادرة البلاد . ولم يوفق ابن عمه نادر خان الى القاء القبض على زعيم الثوار ، الذي تمركز في كابُل ، وإعدامِهِ إلا في تشرين الاول (اكتوبر). وعلى الرغم من انه وضع حداً لجميع التدابير التي اتخذها امان الله ، والتي ادت الى الثورة ، فقد صُرِع في قصره في ٨ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٣٣ ونُودي بابنه محمد ظاهر خان ملكاً على البلاد ، وليس له من العمر غـير عشرين سنة . ولم يعكّر صفوُ عهده ، حتى سنة ١٩٣٩ ، غير مرّة واحدة ، وذلك عندما شقّ عصا الطاعـــة في وزيرستان (كانون الثاني « يناير » سنة ١٩٣٤) ثـــائر مغامر هو محمد سعدي الجيلاني الدمشقي . ولكن هـذه الثورة أخمدت في الحال .

وفي سنة ١٩٢٣ عقدت افغانستان معاهدة مع جارتها ، فارس ؛ وفي سنة ١٩٣٧ أتبِعَت هذه المعاهدة بميثاق سعد آباد الذي سبقت الأشارة اليه ، والذي جعل افغانستان طرفاً في هذه المحالفة الدولية التي تزعمها الشاه رضا بهلوي . وكان نادر شاه قد منح البلاد ، قبل ذلك ، (٣١ تشرين الاول « اكتوبر » سنة ١٩٣١) دستوراً يُشبه الدستور الفارسي ولكنه احتفظ بالسلطة التنفيذية للشاه ووزرائه . ومنذ ذلك الحين عاودت افغانستان سلوك سبيل الاصلاح ، في حذرٍ واحتياط ، من طريق الجهود التي بذلتها الحكومة لاقتباس الاساليب الاوروبية وتكييفها حسب حاجاتها . والواقع ان الفكرة القومية نمت واشتدت أيضاً . ففي سنة ١٩٢٨ انشئت في كابُل أكاديمية هدفها تعزيز اللغة الوطنية ، البُشتو ، وتنميتها حتى تصبح لغة الأدب والعلم . وكانت لغة التأليف ، ولغة الصحافة نفسها ، حتى ذلك الحين ، هي اللغة الفارسية وحدها . فلما انشيء المجمع اللغوي شرعت لغة البُشتو تغزو الصحافة شيئاً بعد شيء ، وفُرضت معرفتها على جميع موظفي الدولة . ومهما يكن من شيء ، فلا يزال امام الدولة الافغانية ، وهي اصغر الدول الاسلامية سناً ، مدى شاسع يجب ان تقطعه قبل ان تتبوأ مركزها الى جانب حليفاتها من الدول الاسلامية .

جدول تاريخي

●

سنة ١٠٦ م سقوط الدولة النبطية .

٢٧٣ نهاية الاسرة الحاكمة العربية في تدمر .

٥٢٩ الحارث الخامس الغساني يصبح بطريقا وينال « التاج » .

٥٣٠ الاحتلال الحبشي لبلاد العرب الجنوبية .

حوالى ٢٥٠ - ٦٠٢ الدولة اللخمية في الحيرة .

٦١٠ انتصار العرب على الفرس في ذي قار .

٦٢٢ الهجرة النبوية وبدء التاريخ الاسلامي .

٦٢٤ وقعة بدر وانتصار النبي على اهل مكة .

٦٢٥ وقعة أحد واندحار النبي .

٦٢٧ وقعة الخندق .

٦٢٨ اخضاع الجاليات اليهودية في الجزيرة العربية .

٦٢٩ مؤته وانتصار البيزنطيين على المسلمين فيها .

٦٣٠ فتح مكة . وقعة حنين .

٦٣٢ حجة الوداع . وفاة النبي (٨ حزيران) .

٦٣٢ - ٦٣٤ خلافة ابي بكر . حروب الردة واخضاع الجزيرة العربية .

٦٣٣	فتح العراق الجنوبي .
٦٣٤	وقعة أجنادين ضد البيزنطيين في فلسطين .
٦٣٤ – ٦٤٤	خلافة عمر .
٦٣٥	فتح دمشق . اندحار الفرس في القادسية .
٦٣٦	وقعة اليرموك واندحار البيزنطيين .
٦٣٧	اندحار الفرس في جلولاء . مؤتمر الجابية .
٦٣٩	فتح مصر .
٦٤٠	فتح فارس .
٦٤٤ – ٦٥٦	خلافة عثمان .
٦٤٧	فتح طرابلس الغرب .
٦٤٩	حروب معاوية ضد البيزنطيين في البحر. احتلال قبرص .
٦٥١	اغتيال يزدجرد، آخر الساسانيين، في خراسان.
٦٥٣	تدوين القرآن على يد عثمان .
٦٥٦ – ٦٦١	خلافة علي .
٦٥٦	وقعة الجمل .
٦٥٧	وقعة صفين .
٦٥٨	التحكيم في أذرح .
٦٦١ – ٧٥٠	الدولة الاموية .
٦٦١ – ٦٨٠	خلافة معاوية بن ابي سفيان .
٦٦٢ – ٦٧٥	ولاية زياد ابن ابيه على العراق .
٦٧٠	فتح افريقية على يد عقبة بن نافع .

٦٧٤ – ٦٧٩	حصار القسطنطينية .
٦٨٠ – ٦٨٣	خلافة يزيد بن معاوية .
٦٨٠	مقتل الحسين في كربلاء .
٦٨٣ – ٦٩٢	خروج عبد الله بن الزبير في مكة .
٦٨٣	الصراع بين الكلبية والقيسية في سورية .
٦٨٤ – ٦٨٥	خلافة مروان بن الحكم .
٦٨٥ – ٧٠٥	خلافة عبد الملك بن مروان .
٦٨٥ – ٦٨٧	ثورة المختار في العراق .
٦٩١	مصرع مصعب بن الزبير . عبدالملك يخضع العراق .
٦٩٢	الحجاج بن يوسف يفتح مكة .
٦٩٤ – ٧١٤	ولاية الحجاج بن يوسف على العراق .
٧٠٥ – ٧١٥	خلافة الوليد بن عبد الملك .
٧١١	وقعة وادي بكة ، وفتح الاندلس .
٧١١ – ٧١٢	غزو السند وما وراء النهر .
٧١٥ – ٧١٧	خلافة سليمان بن عبد الملك .
٧١٧ – ٧٢٠	خلافة عمر بن عبد العزيز . اصلاح الخراج .
٧٢٠ – ٧٢٤	خلافة يزيد عبد الملك .
٧٢٤ – ٧٤٣	خلافة هشام بن عبد الملك .
٧٣٢	معركة تور .
٧٤١	ثورة البربر . الحروب ضد البيزنطيين في آسية الصغرى .
٧٤٣ – ٧٤٤	خلافة الوليد الثاني (ابن عبد الملك) .

٧٤٤ – ٧٥٠	خلافة مروان الثاني (ابن محمد) . تنظيم الجيش .
٧٤٦	ثورات الكلبية في سورية والخوارج في العراق. دعوة ابي مسلم الخراساني للعباسيين في خراسان.
٧٤٨	انتصار قحطبة على الامويين في خراسان .
٧٤٩	ستيلاء العباسيين على فارس ، زحفهم على الكوفة .
٧٥٠	اندحار مروان الثاني في معركة الزاب . مقتله في مصر .
٧٥٠ – ٧٥٤	خلافة السفاح . استئصال شأفة الامويين .
٧٥٤ – ٧٧٥	خلافة ابي جعفر المنصور .
٧٥٦ – ٧٨٨	عبد الرحمن الداخل ـ امير قرطبة .
٧٦٢ – ٧٦٣	ثورات العلويين في العراق وفي المدينة . بناء بغداد.
٧٦٧	وفاة ابي حنيفة .
٧٧٥ ٧٨٥	خلافة المهدي. نقل الكتب الفارسية الى العربية وتأثر الادب العربي بالمؤثرات الفارسية. الصراع ضد المانوية .
٧٧٨ – ٧٨٠	ثورة المقنع في خراسان .
٧٧٨	حملات شارلمان في الاندلس .
٧٨٥ – ٧٨٦	خلافة الهادي . بناء مسجد قرطبة .
٧٨٦ – ٨٠٩	خلافة هرون الرشيد . ازدهار الادب العربي .
٧٩٦ – ٨٢٢	امارة الحكم الاول في الاندلس . الاضطرابات في قرطبة . جمهورية مستقلة في طليطلة .
٧٩٩	استقلال الاغالبة في افريقية .

٨٠٣	نكبة البرامكة .
٨٠٩ – ٨١٣	خلافة الامين .
٨١٣ – ٨٣٣	خلافة المأمون . ازدهار الحركة العلمية والفكرية في الاسلام . المعتزلة واشتداد النزاع في مسألة « خلق القرآن » .
٨١٧	محاولة ارضاء العلويين .
٨١٩	استقلال طاهر بن الحسين في خراسان . السامانيون يخضعون لطاهر .
٨٢٢ – ٨٥٢	امارة عبد الرحمن الثاني في الاندلس (قرطبة) .
٨٣١	استيلاء العرب على بلرم .
٨٣٣ – ٨٤٢	خلافة المعتصم . تغلب السنة على المعتزلة . ظهور المرتزقة الاتراك .
٨٣٦	بناء سامراء .
٨٣٧	القضاء على بابك وحركته « الشيوعية » .
٨٤٢ – ٨٤٧	خلافة الواثق .
٨٤٧ – ٨٦١	خلافة المتوكل .
حوالي – ٨٥٠	بدء الدولة الاويغورية في اواسط اسية .
٨٥٢ – ٨٨٦	امـــارة محمد الاول في الاندلس . النصارى والمولدون يثيرون الاضطرابات .
٨٦١ – ٨٦٢	خلافة المستنصر .
٨٦٢ – ٨٦٦	خلافة المعتز .
٨٦٦ – ٨٦٩	خلافة المهتدي .

٨٦٩	علي بن محمد يوسس « دولة » الزنج في البصرة .
٨٦٨ - ٩٠٦	الدولة الطولونية في مصر .
٨٦٩ - ٨٩٢	خلافة المعتمد. استبداد اخيه الموفق بامور الدولة.
٨٧١ - ٨٧٩	يعقوب ابن الليث الصفار يستولي على فارس .
٨٧٦	انتصار الموفق على يعقوب في دير العاقول .
٨٧٧	احمد بن طولون يستولي على سورية .
٨٨٣	القضاء على ثورة الزنج .
٨٨٨ - ٩١٢	امارة عبد الله في قرطبة . كفاحه ضد الثوار .
٨٩٠	ظهور القرامطة في العراق .
٨٩٢ - ٩٠٢	خلافة المعتضد .
حوالي—٩٠٠	ظهور الزيدية في جنوبي بلاد العرب .
٩٠٢ — ٩٠٨	خلافة المكتفي وحروبه ضد القرامطة .
٩٠٨ — ٩٣٢	خلافة المقتدر ووفاة الخليفة المنافس عبد الله ابن المعتز .
٩٠٩	انتصار ابي عبد الله على اخر الاغالبة ودعوته الفاطميين .
٩١٠	عبيد الله المهدي وبدء الدولة الفاطمية في المهدية .
٩١٢ - ٩٦١	عبد الرحمن الناصر امير قرطبة يأتي بالمرتزقة من الصقالبة .
٩١٤ - ٩٤٢	نصر بن سامان الثاني .
٩٢٣	وفاة المؤرخ الطبري .
٩٢٨	القرامطة يدخلون مكة ويحملون الحجر الاسود منها .

٩٢٩ عبد الرحمن الناصر يتخذ لقب الخليفة .

٩٣٢ - ٩٣٤ خلافة القاهر .

٩٣٢ - ٩٤٠ خلافة الراضي .

٩٣٦ محمد بن رائق امير الامراء .

٩٣٩ ردمير الثاني ملك ليون يهزم عبد الرحمن الناصر .

٩٤٠ - ٩٤٣ خلافة المتقي .

٩٤٣ - ٩٤٦ خلافة المستكفي .

٩٤٤ - ٩٦٧ سيف الدولة الحمداني صاحب حلب . حروبه ضد البيزنطيين . المتنبي الشاعر والفارابي الفيلسوف في بلاط سيف الدولة .

٩٤٥ البويهيون في بغداد .

٩٥٤ - ٩٦١ عبد الملك الساماني (الاول) . ألبتكين صاحب غزنة .

٩٦١ - ٩٧٦ خلافة الحكم الاول في الاندلس .

٩٦٩ جوهر يستولي على مصر باسم الفاطميين . تأسيس القاهرة .

٩٧٦ - ٩٩٧ سبكتكين الغزنوي .

٩٩٦ - ١٠٢١ خلافة الحاكم الفاطمي في مصر . ظهور الدعوة الدرزية .

٩٩٨ - ١٠٣٠ محمود الغزنوي . الفردوسي صاحب الشاهنامه (ت ١٠٢٠) .

١٠٠٦ محمود الغزنوي يهزم ايلك خان التركستاني .

١٠٢٣–١٠٩١	بنو عباد في اشبيلية .
١٠٢٧–١٠٣١	هشام الثالث آخر الامويين في قرطبة .
حوالى ١٠٣٠	« تحقيق ما للهند » البيروني .
١٠٣٧	طغرل بك السلجوقي واخوه داود يستوليان على خراسان .
١٠٥٥	دخول طغرل بك بغداد واستيلاؤه على امور الخلافة من القائم .
١٠٦٢	قيام دولة المرابطين واستيلاء يوسف بن تاشفين على مراكش .
١٠٦٣–١٠٧٢	الب ارسلان يخلف طغرل بك . الحروب ضد البيزنطيين (معركة ملازكرد ١٠٧١)
١٠٧٢–١٠٩٢	ملكشاه السلجوقي . وزيره نظام الملك . حجة الاسلام الغزالي (ت ١١١١) . عمر الخيام . الحريري .
١٠٧٢–١١٠٧	سليمان السلجوقي في آسية الصغرى .
١١٠٧–١٣٠٠	دولة السلاجقة من نسل سليمان في قونية .
١٠٨٣	الفونس السادس ملك قشتالة يهزم المعتمد صاحب اشبيلية .
١٠٨٦	يوسف بن تاشفين يهزم النصارى في الزلاقة .
١٠٩٠	حملة يوسف بن تاشفين الثانية على الاندلس وعزله ملوك الطوائف .
١٠٩٩	الصليبيون يستولون على القدس .

١١٠٧–١١٣٠	محمد بن تومرت يؤسس دولة الموحدين .
١١٣٢–١١٦٣	عبد المؤمن بن علي خليفة ابن تومرت ، خلفه على العرش يوسف (حتى ١١٨٤) ويعقوب المنصور (حتى ١١٩٩) .
١١٣٧	انحلال دولة السلاجقة على ايدي الاتابك .
١١٤٠	اتسز يؤسس دولة شاهات خوارزم .
١١٤٥	نهاية تاشفين ، آخر المرابطين .
١١٥٠	الغوريون يدمرون غزنة .
١١٥٤	نور الدين زنكي (١١٤٦ – ١١٧٣) يستولي على دمشق .
١١٧١	صلاح الدين الايوبي يقضي على الدولة الفاطمية في مصر .
١١٧٤	صلاح الدين يستولي على دمشق ويخضع سورية.
١١٨٠–١٢٢٥	الناصر العباسي آخر الدهاة من بني العباس .
١١٨٧	صلاح الدين يهزم النصارى في حطين ويستولي على بيت المقدس .
١١٩٣	وفاة صلاح الدين واقتسام ابنائه مُلكهُ .
١١٩٥	يعقوب المنصور، الخليفة الموحد ، يهزم نصارى قشتالة في معركة الأرك .
١١٩٩–١٢٢٠	قطب الدين محمد خوارزم شاه يبلغ أوج قوته .
١٢٠٣	تموجين (الذي عُرف بعد ١٢٠٦ بجنكيزخان) يؤسس امبراطورية المغول .

١٢٣٨–١٢٧١	الكامل سلطان مصر .
١٢٢٠	المغول يخضعون خوارزم وبخارى وسمرقند .
١٢٢٠–١٢٣١	جلال الدين منكبرتي آخر شاهات خوارزم .
١٢٢٥	الموحدون يجلون عن الاندلس . قيام دولة بني مرين في فاس؛ بنو زيان في تلمسان؛ بنو حفص في تونس ؛ ابن هود في الاندلس .
١٢٢٧	وفاة جنكيزخان . تقسيم امبراطوريته في ايام ابنه اوكتاي .
١٢٣٢–١٤٩٢	بنو الاحمر في غرناطة . بناء الحمراء .
١٢٤٨	لويز التاسع ملك فرنسة في دمياط .
١٢٥٤–١٥١٧	المماليك في مصر .
١٢٥٦–١٢٩١	سعدي ، الشاعر الفارسي .
١٢٥٨	هولاكو يستولي على بغداد . نهاية الخلافة العباسية .
١٢٦٠	المماليك يهزمون المغول في معركة عين جالوت .
١٢٧٣	وفاة الشاعر المتصوف جلال الدين الرومي .
١٢٧٧	الملك الظاهر بيبرس (١٢٦٦ — ١٢٧٧) يهزم المماليك في أَلبِستان .
١٣٢٦	اورخان ، الزعيم العثماني ، يستولي على بروسه .
١٣٣٧	اخفاق اورخان في هجومه على بيزنطة .
١٣٥٧	الامير سليمان يستولي على غاليبولي .
١٣٦٢–١٣٨٩	مراد الاول فاتح أدرنه .

١٣٦٩	تيمور يخضع خراسان وما وراء النهر .
١٣٧١	انهزام الصرب عند نهر مريج وفقدانهم ممتلكاتهم في مقدونية .
١٣٨٥-١٣٨٦	احتلال العثمانيين نيش وصوفيا .
١٣٨٧	انهزام العثمانيين في بلو شنك .
١٣٨٩	موقعة قوصوه . وفاة الشاعر الفارسي حافظ .
١٣٨٩-١٤٠٢	بايزيد الاول .
١٣٩٠	استيلاء العثمانيين على آلا شهر (فيلادلفيا) .
١٣٩١-١٣٩٣	الامراء السلاجقة يخضعون للعثمانيين .
١٤٠٠	تيمور يدخل سيواس .
١٤٠٢	تيمور يقهر بايزيد الاول في انقره ويأسره . عودة السلاجقة الى اماراتهم .
١٤٠٣-١٤٢١	محمد الاول يحارب اخوته ويتغلب عليهم .
١٤٠٥	وفاة تيمور . اقتسام امبراطوريته .
١٤٠٨	انتصار قبائل قره قيونلي على ميران شاه .
١٤١٦	انتصار الاسطول البندقي على العثمانيين قرب غاليبولي .
١٤٢١-١٤٥١	مراد الثاني .
١٤٣٠	استيلاء العثمانيين على سالونيك .
١٤٤٣	حملة صليبية بقيادة يوحنا هونيادي تقهر العثمانيين عند جالوواز .
١٤٤٧-١٤٥٢	الغ بك التيموري .

١٤٤٨ مراد الثاني ينتصر على هونيادي عند قوصوه .

١٤٥١–١٤٨١ محمد الثاني (الفاتح) .

١٤٥٣ فتح القسطنطينية .

١٤٥٦ حصار بلغراد .

١٤٥٨ وفاة جورج برانكوفتش . اخضاع الصرب .

١٤٦١ اخضاع المورة والقضاء على سلالة كومنينس في طرابزون .

١٤٦٨ اخضاع الالبانيين .

١٤٦٩ اوزون حسن يقهر ابا سعيد التيموري .

١٤٦٩-١٥٠٦ حسين بايقرا يستقل في هراة .

١٤٧٠ البنادقة يخسرون نغربونت في جزيرة اوبه . محالفتهم اوزون حسن .

١٤٧٣ محمد الفاتح يهزم اوزون حسن في توجان .

١٤٧٥ طرد الجنويين من « كفه » . التتار في شبه جزيرة القرم يخضعون للعثمانيين ويمسون تابعين السلطان .

١٤٧٩ الصلح مع البندقية .

١٤٨١–١٥١٢ بايزيد الثاني . نزاعه مع اخيه جم (وفاة جم في نابولي عام ١٤٩٥) .

١٤٩٢ سقوط غرناطة ونهاية العرب في الاندلس .

١٤٩٧-١٥٠٣ بناء مسجد بايزيد في القسطنطينية .

١٤٩٩-١٥٠٣ الحرب ضد البندقية .

١٥٠٢	اسماعيل الصفوي صاحب اردبيل يجعل التشيّع دين الدولة الفارسية .
١٥١٢—١٥٢٠	سليم الاول العثماني (ياوز سلطان) . اضطهاد الشيعة .
١٥١٤	انتصار سليم الاول على اسماعيل الصفوي في چالدران .
١٥١٦	انتصار السلطان سليم على قانصوه الغوري عند مرج دابق .
١٥١٧	العثمانيون يفتحون مصر .
١٥٢٠—١٥٦٦	سليمان القانوني .
١٥٢٢	فتح رودس .
١٤٢٦	موت لويز ملك المجر في معركة مهاج (موهاكس) .
١٥٣٢	حصار قلعة كوسك . اسطول اندريا دوريا على شواطىء المورة .
١٥٣٤	استيلاء العثمانيين على تبريز وبغداد .
١٥٣٣—١٥٤٦	خير الدين بربروسا يهاجم الاسطول الاسباني .
١٥٤٣	اخضاع المجر .
١٥٤٤	اشراف مراكش العلويون (بنو سعد الحسينيون) .
١٥٤٧	بيري رئيس يستولي على عدن .
١٥٥٠	بناء جامع السلطان سليمان في القسطنطينية .
١٥٥١	بيري رئيس يستولي على مسقط .
١٥٦٦	وفاة السلطان سليمان قرب سكتوار .

١٥٦٦–١٥٧٤ سليم الثاني .

١٥٧٠ استيلاء العثمانيين على قبرس .

١٥٧١ كارثة الاسطول العثماني في ليبانتي (ناوباقتوس) .

١٥٧٤–١٥٩٥ مراد الثالث .

١٥٧٧–١٥٨٥ الحرب ضد فارس . استيلاء العثمانيين على تفليس وقرص وتبريز .

١٥٧٨–١٦١٠ احمد الاول المنصور (من بني سعد) يستولي على تمبكتو .

١٥٨٦–١٦٢٨ عباس الكبير شاه فارس .

١٥٩٥–١٦٠٣ محمد الثالث .

١٥٩٩ وفاة سعد الدين (المؤرخ) .

١٦٠٠ وفاة الشاعر الغزلي باقي .

١٦٠٣–١٦١٧ احمد الاول . ثورة الامير فخر الدين المعني .

١٦٠٦ صلح سيتفاتورك .

١٦١٧–١٦٢٢ مصطفى الاول .

١٦١٨–١٦٢٢ عثمان الثاني .

١٦٢٣–١٦٤٠ مراد الرابع .

١٦٣٣ هزيمة فخر الدين المعني .

١٦٣٨ استرجاع بغداد من الفرس .

١٦٤٠–١٦٤٨ السلطان ابراهيم .

١٦٤٥ الحرب ضد البندقية في اقريطش .

١٦٤٨–١٦٨٧ محمد الرابع . « جهاننا » لحاجي خليفة .

١٦٥١ انتصار الاسطول البندقي على العثمانيين قرب بارو س .

١٦٥٦ محمد كوبريلي الصدر الاعظم .

١٦٦٤ انهزام العثمانيين عند جبل القديس غوتارد قرب نهر الراب . (الرشيد الحسني) الفلالي في مراكش .

١٦٦٥ الاسطول الفرنسي يقصف الجزائر وتونس .

١٦٦٩ البندقية تتخلى عن اقريطش للعثمانيين .

١٦٧٢ بولندة تتخلى عن بودوليا واوكرانيا للعثمانيين .

١٦٧٣ انتصار سوبيسكي عند خوتين .

١٦٧٦ انتصار سوبيسكي عند لوويچ وهزيمته عند زوراونو .

١٦٨٩ وفاة الرحالة اوليا چلبي

١٦٨١ العثمانيون يتخلون عن كيف للروس .

١٦٨٣ العثمانيون على ابواب ڤينا .

١٦٨٦ العثمانيون يخسرون المجر .

١٦٨٧ العثمانيون يُدحرون عند مهاج (موهاكس) .

١٦٨٧—١٦٩١ سليمان الثاني .

١٦٨٨ النمساويون يستولون على بلغراد.

١٦٨٩ هزيمة العثمانيين في نيش . مصطفى كوبريلي الصدر الاعظم .

١٦٩٠ العثمانيون يستردون بلغراد .

١٦٩١ مصطفى كوبريلي يسقط قتيلاً في معركة

سالانكمن .

١٦٩١–١٦٩٥	احمد الثاني .
١٦٩٥–١٧٠٣	مصطفى الثاني .
١٦٩٦	بطرس الاكبر يستولي على آزوف .
١٦٩٧	هزيمة الاتراك عند زنطه على نهر تيس .
١٦٩٩	صلح كارلوويج .
١٧٠٣–١٧٣٠	احمد الثالث .
١٧١١	هزيمة بطرس الاكبر عند نهر البروث .
١٧١٤	البندقية تخسر آخر ممتلكاتها في المورة وبحر ايجه .
١٧١٦	الامير اوجين ينتصر على العثمانيين في بتروواردين ويستولي على طمشوار .
١٧١٨	صلح بازارooويج .
١٧٢٢	مير محمود الافغاني يخلع آخر الصفويين . الفتوح الروسية في القوقاز .
١٧٢٩–١٧٣٠	نادر قولي خان يطرد الافغان من بلاد فارس .
١٧٣٠–١٧٥٤	محمود الاول العثماني .
١٧٣٥–١٧٣٩	انتصار العثمانيين على النمسا والروسيا .
١٧٣٦–١٧٤٧	نادر شاه الفارسي .
١٧٣٩	نادر شاه يستولي على دلهي .
١٧٥٠	ظهور محمد بن عبد الوهاب في الدرعية .
١٧٥٠–١٧٧٩	كريم خان صاحب شيراز يحكم فارس .
١٧٥٤–١٧٥٧	عثمان الثالث .

١٧٥٧-١٧٧٤ مصطفى الثالث .

١٧٥٧ الوهابيون يستولون على الأحساء .

١٧٦١ معاهدة صداقة بين العثمانيين وفودريك الكبير.

١٧٧٠ الحرب ضد الروس وتدمير الاسطول العثماني في خليج چشمه .

١٧٧٣-١٧٨٩ عبد الحميد الاول .

١٧٧٤ صلح كوجك قينارجه . النمسا تحتل بوقووينه.

١٧٧٩-١٧٩٧ آغا محمد يؤسس الدولة القاجارية .

١٧٨٣ الامبراطورة كاترينا تخضع تتار القرم .

١٧٨٤ معاهدة آينه لي قواق .

١٧٨٩ نابوليون في مصر .

١٧٨٩-١٨٠٧ سليم الثالث. اول محاولات الاصلاح (تنظيمات) على النمط الفرنسي .

١٨٠١ الوهابيون يغيرون على كربلاء .

١٨٠٣-١٨٠٤ الوهابيون يستولون على مكة والمدينة .

١٨٠٤ الثورة الصربية بقيادة قره جورج (قره يوركي).

١٨٠٧ المعاهدة بين فتح علي شاه (١٧٩٧ — ١٨٣٤) ونابوليون ضد الروسيا .

١٨٠٧-١٨٠٨ مصطفى الرابع .

١٨٠٨-١٨٣٩ محمود الثاني .

١٨١١ محمد علي باشا يفتك بالمماليك ويبيدهم .

١٨١٢ صلح بخارست بين العثمانيين والروس. استخلاص

طوسون مكة والمدينة من ايدي الوهابيين .

١٨١٨ ابراهيم باشا يخضع الوهابيين .

١٨٢١–١٨٢٩ الثورة اليونانية على الدولة العثمانية .

١٨٢٦ محمود الثاني يبيد الانكشارية .

١٨٢٧ الحلف الثلاثي ضد العثمانيين . معركة ناوارين .

١٨٣٠ احتلال فرنسة الجزائر

١٨٣١–١٨٣٢ ابراهيم باشا يفتح سورية. عباس ميرزا يستولي على خراسان .

١٨٣٢ ابراهيم باشا يهزم العثمانيين قرب قونية .

١٨٣٣ صلح كوتاهيه. توقيع معاهدة الصلح بين العثمانيين والروس في خونكار اسكله سي .

١٨٣٤–١٨٤٨ محمد شاه الفارسي .

١٨٣٥ عبد القادر الجزائري يهزم الفرنسيين عند نهر المقطع . فون مولتكه وفون برج يدخلان في خدمة السلطان .

١٨٣٦ استرداد السلطان طرابلس الغرب .

١٨٣٧ الـ « باش وكيل » يحل محل الصدر الاعظم . الفرس يحاصرون هراة (تدافع عنها حامية بقيادة انكليزي) .

١٨٣٩ الحرب العثمانية المصرية . هزيمة العثمانيين في نصيبين . البريطانيون يحتلون كابل وقندهار . البريطانيون يحتلون عدن .

١٨٣٩ - ١٨٦١ عبد المجيد الاول .

١٨٣٩ بعث الصدارة العظمى . رشيد باشا وزير الخارجية .

١٨٤٠ مؤتمر لندن لتسوية العلاقات العثمانية المصرية .

١٨٤٢ ثورة الدروز . اعادة تنظيم لبنان . دوست محمد يطرد البريطانيين من افغانستان .

١٨٤٣ عبد القادر الجزائري يجتاز الحدود الى مراكش . محمد بن علي يؤسس السنوسية في طرابلس الغرب .

١٨٤٤ الباب ميرزا علي محمد .

١٨٤٥ المرابط بو معزة يثور في الجزائر . سقوط عبد القادر في قبضة الفرنسيين .

١٨٤٨ وفاة محمد علي . عباس يتسلم زمام الامور .

١٨٤٨—١٨٩٦ ناصر الدين شاه .

١٨٤٩ فيصل بن تركي يُخرج المصريين من الحجاز .

١٨٤٩—١٨٥٢ النزاع على الاماكن المقدسة في فلسطين .

١٨٥٠ الفتك باتباع الباب .

١٨٥٢ دانيلو اول حاكم علماني يؤسس سلالة وراثيـة في الجبل الاسود .

١٨٥٣ حرب القرم .

١٨٥٤ العثمانيون يصمدون في قلعة سلستره في وجه الروس . هزيمة الروس عند نهر ألما .

١٨٥٤—١٨٦٣ سعيد باشا صاحب مصر .

١٨٥٥ سقوط سباستوبول . شامـل يقود ثورة اللاز

ضد الروس .

١٨٥٦ «خط همايون» . صلح باريس . بريطانية تشهر الحرب على فارس . ابراهيم شناسي . بدء الادب التركي الحديث .

١٨٦٠ بدء العمل في فتح ترعة السويس . حوادث الستين .

١٨٦١–١٨٧٦ السلطان عبد العزيز .

١٨٦٣–١٨٨٠ اسماعيل باشا صاحب مصر يتخذ لقب خديوي في ١٨٦٦ .

١٨٦٩ افتتاح ترعة السويس رسميا .

١٨٧٠ ظهور المهدي محمد بن عبد الله في السودان .

١٨٧٣ تعديل الوضع الدستوري المصري .

١٨٧٣–١٨٩٤ السلطان حسن المراكشي .

١٨٧٥ المحاكم المختلطة في مصر . المصريون يستولون على هرر في الحبشة . هزيمة المصريين على يد الامبراطور يوحنا . الثورة في الهرسك .

١٨٧٦ الفظائع في بلغارية . مؤامرة مدحت باشا على السلطان عبد العزيز وتنصيب مراد الخامس .

١٨٧٦–١٩٠٩ عبد الحميد الثاني .

١٨٧٦ الصرب والجبل الاسود يشهران الحرب على الدولة . مدحت باشا ، الصدر الاعظم ، يعلن الدستور .

١٨٧٧–١٨٨٨ الحرب الروسية العثمانية . معركة بلفنه وبمر

شيبكا . الروس في ادرنه . صلح سان ستيفانو
الموقت. تخلي الدولة العثمانية عن قبرس لبريطانية .

١٨٧٨ مؤتمر برلين .

١٨٨٠–١٨٩٢ توفيق باشا خديوي مصر .

١٨٨١ فرنسة تحتل تونس . هزيمة عرابي باشا عند التل الكبير . بريطانية تحتل مصر .

١٨٨٢ المهدي يُخرج المصريين من السودان .

١٨٨٣ المهدي يحتل الابيض .

١٨٨٥ الهجوم على الخرطوم . مقتل غوردن . وفاة المهدي وخلافة ابي بكر عبد الله التعايشي.

١٨٨٨ المهديون يهزمون الرأس عدار ويحرقون قندر ويخضعون مقاطعة الخط الاستوائي .

١٨٨٩ هزيمة الحبشة في القلابات . مقتل الامبراطور يوحنا .

١٨٩٢ رباح يؤسس دولة عند بحيرة شاد .

١٨٩٤ الفرنسيون يستولون على تمبكتو .

١٨٩٤–١٩٠٧ السلطان عبد العزيز المراكشي .

١٨٩٦ كتشنر يقضي على المهديين في ام درمان . مقتل الخليفة عبد الله . الحرب العثمانية اليونانية . اغتيال ناصر الدين شاه .

١٨٩٦–١٩٠٩ الشاه مظفر الدين .

١٩٠٠ الفرنسيون يقضون على امبراطورية رباح .

١٩٠٤	مؤتمر الجزيرة الخضراء .
١٩٠٦	حادثة دنشواي . استقالة كرومر .
١٩٠٧	تقسيم بلاد فارس الى منطقتي نفوذ بريطانية وروسية .
١٩٠٨	ثورة رجال « تركية الفتاة » .
١٩٠٩	الثورة في فارس . تنازل مظفر الدين شاه عن العرش واعتلاء احمد شاه . الزحف الثاني على استانبول
١٩٠٩-١٩١٨	السلطان محمد رشاد الخامس .
١٩١١-١٩١٢	ايطالية تستولي على طرابلس الغرب .
١٩١٢	حرب البلقان .
١٩١٣	انور يسترد ادرنه . معاهدة صلح القسطنطينية ومعاهدة صلح اثينا (١٩١٤) .
١٩١٤	(اول تشرين الثاني) الدولة العثمانية تدخل الحرب الى جانب المانية . حسين كامل سلطان مصر .
١٩١٥	الهجوم على ترعة السويس . معركة المضايق . حصار الجنرال تونشند وقواته البريطانية الهندية في كوت العمارة .
١٩١٦	(٢٩ نيسان) استسلام تونشند . الروسيا تتقدم في القوقاز وفارس .
١٩١٧	(آذار) البريطانيون يحتلون بغداد (كانون اول) فتح القدس . فؤاد سلطان مصر . محمد السادس (وحيد الدين) يرقى عرش الخلافة والسلطنة .

١٩١٨ فيصل ولورنس يحتلان دمشق (تشرين اول).
معاهدة مودروس - (٣٠ تشرين اول) . بدء
حركة الوفد في مصر .

١٩١٩ اليونان في ازمير (١٥ نوار) . مصطفى كمال
في الاناضول (١٥ نوار) . مؤتمر ارضروم
(٢٣ تموز) . الميثاق الوطني . الاضطرابات
الوطنية في مصر .

١٩٢٠ الحلفاء يحتلون الاستانة (آذار) . افتتاح
المجلس الوطني في انقرة (٢٣ نيسان) . مؤتمر
سان ريمو يبحث الانتدابات . معاهدة سيفر .
بعثة ملنر في مصر. الفرنسيون يُخرجون فيصل
من سورية . رضا خان يزحف على طهران .

١٩٢١ الغازي مصطفى كمال يهزم اليونانيين عند نهر
سقاريه . المعاهدة التركية مع فرنسة والمعاهدة
التركية مع الروسيا . نفي زغلول الى سيشل .
فيصل ملك العراق (٢٣ آب).ثورة عبدالكريم
في الريف المراكشي .

١٩٢٢ طرد اليونان من آسية الصغرى . معاهدة
لوزان . السلطان فؤاد يصبح ملك مصر (١٥
آذار) . وضع الدستور الفلسطيني .

١٩٢٣ اعلان الجمهورية التركية والغاء السلطنة (٢٩
تشرين الأول).عبد المجيد يصبح خليفة. اعلان

الدستور المصري .

١٩٢٤ الغاء الخلافة (٣ آذار) . فؤاد يحل البرلمان المصري . زغلول رئيس الوزراء . ابن سعود يستولي على الحجاز .

١٩٢٥ الثورة الكردية ضد تركية، حل الطرق الصوفية واستبدال القبعة بالطربوش . الثورة السورية . ضم الموصل الى العراق . رضا خان يصبح شاه ايران .

١٩٢٦ مؤامرة ازمير . زغلول يعود الى رئاسة الوزراء . الجمهورية اللبنانية . ضم عسير الى الحجاز . المؤتمر الاسلامي العام في مكة . القضاء على ثورة عبد الكريم .

١٩٢٧ وفاة زغلول . ثروت يفاوض بريطانية لعقد معاهدة .

١٩٢٨ استبدال الاحرف اللاتينية بالعربية في تركية .

١٩٢٩ الاضطرابات في فلسطين . تنازل امان الله عن عرش افغانستان . البدء في مد السكة الحديدية في ايران (١٩٢٩ - ١٩٣٨) .

١٩٣٠ تركية تدخل عصبة الامم . تحديد عدد المساجد في تركية .

١٩٣٢ العراق يدخل عصبة الامم . فتنة الاشوريين .

١٩٣٣ الاضطرابات في فلسطين . وفاة الملك فيصل (٨ ايلول) . غازي ملك العراق .

١٩٣٤ المعاهدة التركية مع دول البلقان . المعاهدة التركية الايرانية . اصطناع اسماء العائلات في تركية . مصطفى كمال: اتاتورك . الحرب بين ابن سعود والامام يحيي . معاهدة صلح الطائف .

١٩٣٥ انتخاب النساء لاول مرة في المجلس الوطني التركي . اشتداد المقاومة العربية في فلسطين . تحرير المرأة في ايران . جامعة طهران .

١٩٣٦ عقد المعاهدة البريطانية المصرية . وفاة الملك فؤاد (٢٨ نيسان) . فاروق ملك مصر . اللجنة الملكية في فلسطين . الانقلاب العراقي على يد بكر صدقي .

١٩٣٧ تركية تنتزع لواء الاسكندرونة . معاهدة سعد آباد بين تركية والعراق وايران وافغانستان . وزارة محمد محمود باشا في مصر . هرب المفتي من فلسطين .

١٩٣٨ وفاة اتاتورك (١١ تشرين الأول) . عصمت اينونو يخلفه في رئاسة الجمهورية . حل البرلمان المصري . اللجنة الملكية في فلسطين تقدم اول مشروع للتقسيم .

١٩٣٩ مؤتمر الدائرة المستديرة في لندن لدرس القضية الفلسطينية . الكتاب الابيض . وفاة الملك غازي (٤ شباط) . فيصل الثاني ملك العراق.

فهرست الاعلام

●

ب

ك

ل

فهرس المحتويات

●

١١٩ ـ ٤ ـ ١٩٥٠





		ق. ل.
العرب	للدكتور فيليب حتي	٤٠٠
الاسلام على مفترق الطرق	ترجمة الدكتور عمر فروخ	١٥٠
غيوم عربية	للدكتور نبيه فارس	١٠٠
رائد التراث العربي	ترجمة صلاح الدين المنجد	٥٠٠
قضية العرب	علي ناصر الدين	٢٥٠
أيام الحسين	عبدالله العلايلي	٣٠٠
صفحات من الماضي القريب	ساطع الحصري	١٥٠
معنى النكبة	الدكتور قسطنطين زريق	١٠٠
روح الحضارة العربية	ترجمة الدكتور عبدالرحمن بدوي	
تاريخ الشعوب الاسلامية لبروكلمان : [خمسة اجزاء]		
برقة : الدولة العربية الثامنة	نقولا زيادة	
فلسفة ابن سينا	للمستشرقة جواشون	
بعد النكبة	قدري حافظ طوقان	
هل الادباء بشر ؟	للدكتور اسحق موسى الحسيني	

الثمن ٣٠٠ قرش لبناني او ما يعادلها .
مطابع دار الكشاف - بيروت